الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الوارث

٨٣

مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جمادي الآخر ١٤٣٧ هـ-مارس/مايو ٢٠١٦م

قال رسول الله صلى الله عليه وآله

فاطمة بضعة مني

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة ، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

إقرأ في هذا العدد

- فاطمة عليها السلام في واقع المسلمين.
- السعادة والشقاء بالولادة أم بالإرادة؟
- حقيقة التوسل والاستغاثة بالزهراء عليها السلام.
- الجمع بين الظهور والرجعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل

السيد حسين عدنان

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني

السيد علي ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩- بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org

٤-الشعائر الحسينية عند الإمام المهدي عليه السلام

٦- أم البنين عليها السلام.....

١٠- العصمة الفاطميّة

١٢- مصير الأطفال يوم القيامة

١٨-الاعتبار من تاريخ الأمم...

٢٢- حقيقة التوسل والاستغاثة...

٣٦-علم الأئمة عليهم السلام...

٤٦-غزوة خيبر

٥٠- السعادة والشقاء بالولادة أم بالارادة؟

حرمة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما

ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني».

عند التأمّل في الحديث يظهر لنا أنّ هنا إشارة إلى أنّها حاملة لكل الصفات المعنوية والجسدية، ويؤيد ذلك قول عائشة في حقها: (مشيتها كمشية رسول الله)؛ وكذلك إقرار المعصوم بطيب ولادتها وطهارة أمها ولا شك في نسبها، وأيضاً لها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله: «فمن أغضبها أغضبني»، فمن أغضب النبي صلى الله عليه وآله يطرد من الرحمة أي يلعن بدليل قوله تعالى في سورة البراءة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ وكذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

أمّا الدليل على وجوب صون حرمة الرسول صلى الله عليه وآله هي ما وردت في كثير من الآيات الكريمة ومنها ما تقدم، فللباحث أن يراجع الآيات التي فيها كلمة (النبي) وكلمة (الرسول).

والأدلة الروائية التي وردت في الحديث النبوي الشريف وهي دالة على صون حرمته وحرمة آل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام كثيرة نذكر منها.

فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في قوله تعالى من سورة الحج: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، أنّه قال: «هِيَ ثَلَاثُ حُرُمَاتٍ وَاجِبَةٍ فَمَنْ قَطَعَ مِنْهَا حُرْمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ الْأُولَى انْتِهَاكُ حُرْمَةِ اللهِ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ وَالثَّانِيَةُ تَعْطِيلُ الْكِتَابِ وَالْعَمَلُ بِغَيْرِهِ وَالثَّالِثَةُ قَطِيعَةُ مَا أَوْجَبَ اللهُ مِنْ فَرْضِ مَوَدَّتِنَا وَطَاعَتِنَا».

وقد روى الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ حُرُمَاتٍ ثَلَاثٍ لَيْسَ مِثْلَهُنَّ شَيْءٌ كِتَابُهُ وَهُوَ حِكْمَتُهُ وَنُورُهُ وَبَيْتُهُ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلنَّاسِ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ تَوَجُّهاً إِلَى غَيْرِهِ وَعِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله».

وقد روى الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق بلفظ آخر أنّه عليه السلام قال: ««لله عَزَّ وَجَلَّ فِي بِلَادِهِ خَمْسُ حُرَمٍ: حُرْمَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَحُرْمَةُ آلِ الرَّسُولِ عليهم السلام، وَحُرْمَةُ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحُرْمَةُ كَعْبَةِ اللهِ، وَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ».

فمن خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة السابقة يمكن معرفة انتهاكات حرمة فاطمة عليها السلام في الأمور التالية:

أولاً: سلب حقها.

ثانياً: رد دعوتها ورد شهودها.

ثالثاً: الدخول في بيتها دون إذن منها وقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾؛ وقوله تعالى في سورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾.

رابعاً: انتهاك حرمتها كونها من العترة وقد تقدم وجوب حفظ الحرمة.

خامساً: انتهاك حرمتها كونها من المؤمنين وقد تقدم وجوب حفظ حرمة المؤمن، وكما ورد في الحديث الشريف أنّ «لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ»، أي من الكعبة.

سادساً: إخافتها ومحاربتها، وقد نهى الله تعالى عن إخافة المؤمن الولي ومحاربته في كثير من الروايات، منها ما ورد في الكافي عن الكليني قول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي وَأَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي».

فما بالك بمن اعتدى دون حق؟

المشرف العام

الشعائر الحسينية عند الإمام المهدي عليه السلام

من الأمور التي لابدَّ من إدراكها هي علاقة الإمام المهدي عليه السلام بالشعائر الحسينية، تلك القضيّة التي كانت الشغل الشاغل لأهل البيت عليهم السلام من أجل النهوض بمستوى المعرفة الحقيقية بأهداف الإسلام ومبادئه.

فقد حثَّ الأئمّة عليهم السلام على اعتبار هذه الشعائر من ضمن متمّمات الإيمان وكمالات الولاء الذي لابدَّ أن يتَّصف بها شيعتهم، لذا فإنَّك تجد الأئمّة عليهم السلام قد بذلوا جهوداً حقيقية من أجل التعريف بأهمّية هذه الشعائر، وقد سبقهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة المأتم على ولده الحسين عليه السلام حتَّى أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم ضمن لفاطمة عليها السلام مأتم ولدها في المستقبل البعيد وعلى مدى كلّ الأجيال.

فقد أخبرها بأنَّ الله تعالى سيخلق لهم شيعة «رجالهم يبكون على رجالنا ونساؤهم يبكون على نسائنا»، وهكذا صدقت النبوءة المحمّدية حينما تتوجَّه أفئدة الناس وأجسادهم إلى قضيّة الحسين ليحيوها بكلّ تفاصيلها المفجعة، ولم تزل فاطمة عليها السلام تبكي ولدها كلَّما تذكَّرت نبوءة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتدعو لشيعتها المحيين أمرهم.

وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقيم مأتمه في أرض الطف عند مروره عليها، ولم يزل أئمّة أهل البيت عليهم السلام يحيون هذه المجالس ويؤكّدون تلك الشعائر حتَّى كان شعارهم عليهم السلام: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»، بل صارت هذه المقولة دافعاً قويّاً لشيعة أهل البيت عليهم السلام تدفعهم إلى إيجاد الشعائر بكلّ صورها تعبيراً عن ولائهم ومحبَّتهم لأئمّتهم عليهم السلام.

ولم يكن الإمام المهدي عليه السلام بعيداً عن هذا الهمّ فقد ورث عليه السلام أحزان آبائه الطاهرين وتفجّعهم على مصيبة الحسين عليه السلام حتَّى ورد عنه عليه السلام مخاطباً جدّه الحسين عليه السلام: «لأندبنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ عليك بدل

الدموع دماً».

وكما ورد عنه عليه السلام: «حتَّى أموت بلوعة المصاب وغصَّة الاكتئاب»، وهذه العبارة توقفنا على مدى الحزن الذي يملأ قلب الإمام المهدي عليه السلام، بل ما خفي علينا أكثر.

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على أهمّية هذه الشعائر وطلبوا من أتباعهم المواظبة عليها وتعاهدها، بل كان تعاهد قبر الإمام الحسين عليه السلام وزيارته من أهمّ وأعظم تلك الشعائر حتَّى لو كلَّفهم ذلك حياتهم، وما تعرض إليه زوّار قبر الحسين عليه السلام إبّان عهد المتوكّل وأمثاله من الطواغيت لم يحد من عزيمة الشيعة حيث كان ذلك بمرأى ومسمع الأئمّة عليهم السلام وكانوا يطَّلعون على أساليب النظام العبّاسي الذي يلاحق زوّار قبر الإمام الحسين عليه السلام ومدى القتل والترويع الذي يكابده الشيعة حتَّى عرَّض حياتهم إلى الخطر.

إلاَّ أنَّنا لم نسمع نهياً ورد عن الأئمّة عليهم السلام حول زيارة قبر الحسين عليه السلام بحجّة أنَّ ذلك يضرّهم ويعرّضهم إلى الأذى، بل ورد عنهم عليهم السلام في الحثّ على زيارة القبر الشريف وبتعاهده على كلّ حال: «زره - أي الإمام الحسين عليه السلام - على خوف وعلى غير خوف».

وهذا بذاته إقرارٌ من الأئمّة عليهم السلام على مطلوبية الزيارة ولو أدّى ذلك إلى الضرر، ولمّا كانت الزيارة جزءًا من الشعائر الحسينية فإنَّ الشعائر مطلوبة على كلّ حال، هذه نظرة الأئمّة عليهم السلام للشعائر وهي ذات النظرة من قبل الإمام المهدي عليه السلام وذلك لأنَّ للشعائر الحسينية الأثر البالغ في حركة الإمام المهدي عليه السلام وذلك للأمور التالية:

أوّلاً: إنَّ الشعائر الحسينية تبعث على ترقّي الإنسان نحو الكمال ووصوله إلى معارج المعرفة بالله تعالى وهذه المعرفة تتطلَّب بذل الوسع من أجل الرضا الإلهي، لذا فإنَّ الممارس لهذه الشعائر يسعى من أجل الوصول إلى ما يرضي الله تعالى، وإذا تشكَّلت هذه القواعد المعرفية ستنمو وبوتيرة متصاعدة قواعد أنصار الإمام المهدي عليه السلام التي ستدخل في معادلة تعجيل ظهوره المبارك.

ثانياً: إنَّ ممارسة الشعائر الحسينية تخلق لدى الممارس لها حالة الشعور بالتضحية ونكران الذات من أجل المبدأ وهو ما يريده الإمام المهدي عليه السلام من توفّر هذا الشرط لبناء قاعدته الجماهيرية المناصرة له.

ثالثاً: إنَّ الشعائر الحسينية مبنية على قاعدة العطاء، وهذه القاعدة لا تتوقَّف عند حد معيَّن، بل هي تشمل كلّ ألوان العطاء، وأهمّها التضحية المتعلّقة بقناعات الفرد في أنَّ العطاء من أجل المبدأ هو أعظم غاية في العطاء، لذا فإنَّ القواعد الممارسة لشعائرها الحسينية تكون أكثر من غيرها مهيّئةً للعطاء والتضحية من أجل نصرة الإمام المهدي عليه السلام قبل ظهوره وأثنائه وبعده.

رابعاً: لمّا كانت الشعائر الحسينية مبنيّة على بيان مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام وذكر فجيعتهم فإنَّ ذلك سيخلق عامل انشداد بين القواعد وبين أهل البيت إذ ستكون مداومة الذكر لمصائبهم عاملاً مهمّاً على التمسّك بمبادئ أهل البيت عليهم السلام وستكون هذه القواعد ضمانة مهمّة لنصرة الإمام المهدي عليه السلام.

خامساً: تتعهّد الشعائر الحسينية ببثّ الوعي والمعرفة والعمل على تثقيف الأمّة على مذهب أهل البيت عليهم السلام، فهي القناة الإعلامية التقليدية لثقافة أهل البيت ومعارفهم، وهو ما يعمل أهل البيت من أجله، ومن المؤكَّد أنَّ ذلك سيضمن التعريف بقضيّة أهل البيت عليهم السلام ومنها قضيّة الإمام المهدي عليه السلام وأطروحته.

المهدي عليه السلام سيحتجّ على العالم بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام وبما جرى عليه من مظلومية وفجيعة وهذه المظلومية امتدَّت حتَّى شملت الإمام المهدي عليه السلام، والعقل والفطرة تحتّمان نصرة المظلوم، فلا بدَّ أن يطالب الإمام المهدي بمظلوميته ويسعى إلى إيجاد قواعده المناصرة له من خلال ذكر هذه المظلومية، والشعائر الحسينية هي الضمانة الأهمّ في المحافظة على هذه المظلومية وحفظها في ذاكرة الأمّة وأنَّها لم ولن تغيب.

بقلم: السيد محمد علي الحلو

أم البنين عليها السلام زوجة أمير المؤمنين عليه السلام

شجاعة بني كلاب

مما لا يختلف فيه اثنان أن أم البنين على جانب كبير من الذكاء وقوة الحافظة.. أوتيت في الفصاحة وبلاغة المنطق بالإضافة إلى حلاوة في التعبير وعذوبة في الحديث وامتلاك لقلب السامع وحدة ذهن وخفة روح وظرف في الطبع ما لم يؤت لغيرها من النساء.

فقد جاء في كتاب (بطل العلقمي): (وهذه المرأة النبيلة الصالحة ذات الفضل والعفة والصيانة والورع والديانة التي هي والدة العباس، كريمة قومها، وعقيلة أسرتها، تنتمي كما عرفت لأشرف العرب قبيلة وأكرامها فضيلة).

فإن قبيلتها من أشرف القبائل العربية شرفاً، وأجمعهم للمآثر الكريمة التي تفتخر بها سادات العرب ويعترف لها بالسيادة حتى أضدادها وحسادها ومعادوها، وذلك لكثرة نوابغها من الرجال المبرزين والزعماء الممتازين بأكمل الصفات الكريمة وأتم الخصال الممدوحة كالكرم والشجاعة والفصاحة شعراً وخطابة.

هذه مفاخر العرب في العصر الجاهلي، ولا فضيلة عندهم أفضل من فضيلة الشعر، ولا خصلة عندهم توجب التقدم أنبل من الشجاعة.

وليست هذه الفضيلة ما يختص بها الدور الجاهلي المظلم ولا العصر الهمجي وحده، بل فضلها في دور المدينة وعصر النور حيث أكدتها شريعة الإسلام المقدسة، وقد نوه الباري تعالى بذلك في كتابه تنويهاً عظيماً، فمرة جل وعلا يحض على الثبات في الزحف وأخرى يذكر محبته لمن ثبت في مركزه الحربي في الجهاد على الدين وأخرى يوعد بجزيل الحباء لأهل هذه الصفة.

وفي آبائها يقول الشاعر لبيد للنعمان بن المنذر ملك الحيرة:

يا رب هيجا هي خير من دعة
آكل يوم هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعة
ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعة
الضاربون الهام تحت الخيضعه
يا واهب الخير الكثير من سعه

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إن استه من برص ملمعه
وإنّه يدخل فيها إصبعه
يدخلها حتى يواري أشجعه
كأنما يطلب شيئاً ضيعه

ويعرفنا التاريخ أنّ بني كلاب هم فرسان العرب في الجاهلية، ولهم الذكريات المجيدة والمواقف البطولية الرائعة في المغازي بالفروسية والبسالة والزعامة والسؤدد حتى أذعن لهم الملوك، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله (ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس).

كان ذلك مراد أمير المؤمنين علي عليه السلام من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب، فإن الآباء لابد وأنْ تعرف في البنين ذاتياتها وأوصافها، فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة، وإنْ كان أنثى بانت في أولادها، وإلى هذا أشار صاحب الشريعة بقوله: (الخال أحد الضجيعين، فتخيروا لنطفكم).

هكذا يشيد التاريخ بشجاعة أبناء بني كلاب في المفاخرات والمنافرات وكان الشعر سلاحاً من أسلحة الصراع القبلي، فهو المثير لحماسة المحاربين في المعارك، والراثي للقتلى، والمحرض على الأخذ بالثأر، والهاجي للأعداء.

الزواج المبارك

وقد روي في زواج أمير المؤمنين عليه السلام من امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب أنه عليه السلام قال لأخيه عقيل وكان نسابة ويعرف بأنساب العرب وأخبارهم: «انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً»، فقال له تزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها فتزوجها عليه السلام.

وهنا لو سأل سائل: لم عول أمير المؤمنين عليه السلام على أخيه عقيل في الاختيار ولم يختر هو لنفسه فهل كان عقيل أعرف منه بأصول العرب مع أنكم تعتقدون أن الإمام أعلم من غيره في كل العلوم وأعرف ممن سواه بكل شيء؟

الجواب: نعم هو كذلك عندنا ولكن كانت العادة التي اقتضتها همم الأكابر من الملوك والعظماء أنه إذا أراد التزويج لنفسه أو لواحد من ولده أناب عنه من يقوم به من خاصته من يعتمد عليه من أهل المعرفة والحزم ليختار له ترفعاً منهم عن ذلك لأن المرأة مهما بلغت من الجلالة وعظم القدر هي بالنسبة إلى ذلك العظيم لا ترقى إليه ويرى أن مباشرته للخطبة بنفسه انحطاطاً لقدره وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وآله لما أراد التزويج بخديجة عليها السلام مع رغبته التامة فيها وعلو قدر خديجة وعظم شأنها في قريش لم يباشر صلى الله عليه وآله خطبتها بنفسه وإنما باشر ذلك أعمامه أبو طالب والزبير وحمزة والقضايا التاريخية إذا سرت عليها أرتك ما نقوله جلياً.

وثانياً: إن رجوع العالم إلى من هو أدنى منه في العلم في سؤال أو مشاورة لا ينفي الأول من العلم وحصانة الرأي، والشواهد في ذلك كثيرة قال الله عز شأنه لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.(آل عمران:١٥٩)

ومن تتبع التاريخ يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ﴿ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾، شاور أصحابه في مواقف عديدة وأخذ بمشورتهم، وأشاروا عليه وقبل رأيهم، أترى أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المشاورة نقص في العلم والرأي، الجواب: كلا.

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه المجيد حول هذا الموضوع أكثر من خمس آيات: وقد قيل: (وكم سائل عن أمره وهو عالم) وغير خفي ما أخبر به الذكر الحكيم من طلب سليمان عليه السلام أصحابه إحضار قصر بلقيس حتى أحضره وصيه آصف بن برخيا ترى أنه عليه السلام لا يستطيع إحضاره هو،

كما ولا يخفى اقتراح موسى عليه السلام على ربه المساعدة من أخيه هارون على تأدية الرسالة إلى فرعون، وغيرها وغيرها من الشواهد الدالة على ذلك.

ونظرة ثانية كأنما أراد أمير المؤمنين عليه السلام في اعتماده على أخيه عقيل ليختار له امرأة لا لإظهار شخصية أخيه في هذا العلم فحسب، بل وحتى تكون شهادته عالية الشأن دامغة الحجة فإذا وصم الأعداء في أنسابهم بوصمة تغنت بها الركبان وتحدثت بها أهل المحافل وإذا مدح أحداً في نسبه كانت كلمته مضرب المثل وحجة عند أهل الأنساب، فعلى هذا وذاك قال عليه السلام لأخيه عقيل يا أخي أريد منك أن تختار لي.

بقلم: الشيخ محمد فاضل المسعودي

فاطمة عليها السلام في واقع المسلمين

بعد أن يسمو الشهيد إلى الله سبحانه وتعالى ويلتحق بالرفيق الأعلى ينقسم الناس إزاءه إلى ثلاث فرق؛ ففرقة تؤمن به وبقضيته وتعمل في سبيل إحياء أمره، وفرقة تكفر به وبمبادئه وتعمل في سبيل إخماد ذكره وإماتة أمره، وهاتان الفرقتان إنما تمثلان الأقلية السحيقة، أما الفرقة الثالثة فهي التي ينضوي تحتها أغلب الناس؛ وهي الفئة التي كل جهدها أن تذرف الدموع على الشهيد؛ فيما هي في واقع الأمر تصفق لأعدائه وتؤيدهم فعلاً.

الأمة بعد استشهاد الزهراء عليها السلام

لقد ذهبت السيدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وهي أول شهيدة بعد رحيل الرسول الأكرم بظلامتها وحسرتها وآلامها وأحزانها الى ربها.

ذهبت فاطمة، ولكن ماذا كان فعل المسلمين وأهل المدينة منهم بالخصوص تجاه هذا الخطب الفجيع الذي يحمل في طياته معالم الردّة والانقلاب على الأعقاب؟

لقد انقسم الناس حياله الى ثلاثة أقسام - كما هي العادة - فقسم منهم بكى على سيدته الجليلة قاطعاً على نفسه عهداً باتباع سيرتها والاستضاءة بنورها، وكان من هذا القسم رجال كسلمان المحمدي وأبي ذر والمقداد وعمار وابن التيّهان.

وقسم بقي على بغضه لها وحبّه لعدوّها، وهؤلاء كانوا أعداداً كالمغيرة الذي ضرب السيدة الزهراء بيده الخبيثة في أحد أزقّة المدينة وبقي على بغضه حتى آخر لحظة من حياته البغيضة المليئة بالأحقاد على مبادئ الإسلام.

أما القسم الثالث، فكان يمثل الأغلبية من أهل المدينة، فقد بكوا الصديقة الزهراء وتعاطفوا معها قلباً، ولكنهم في الوقت ذاته خالفوها ومبادئها عملاً وصفّقوا لأعدائها ووقفوا مع الذين قتلوها واستباحوا حقوقها.

أزمة المسلمين الأولى

إن الأزمة التاريخية الحقيقية في حياة المسلمين هي هذه الازدواجية في السلوك؛ الأزمة التي رفضها القرآن الكريم رفضاً قاطعاً، معتبراً ظهور بوادرها أول ظهور الانكسار والردة والتخلّف.

وها هي الآن الملايين تبكي الحسين عليه السلام في أيام عاشوراء ذكرى استشهاده المقدس، بل ويلطمون ويجرحون أنفسهم للدلالة على حزنهم وتضامنهم معه، غير أن المنصف إذا ما اعتبر أعمالهم مقياساً لإيمانهم فسيعرف أنّ الكثير منهم لا ينتمي إلى جبهة الحسين عليه السلام.

فالعين تدمع من أجل الحسين، واليد تصفق ليزيد ولكل من كان معه وخطه في هذا العصر.

والأئمة عليهم السلام كانوا قد شخصوا ذلك من قبل، حتى أنهم وضعوا نصوص الزيارات الشريفة لسيد الشهداء التي جاء فيها: «اللهم العن أول ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك... اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله».

ونقرأ في زيارة الوارث، وهي من الزيارات المعتبرة

فنقول: «بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، لقد عظمت الرزيّة وجلت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض، فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيّأت لقتالك...».

فأولئك الذين ظلموا آل الرسول وأولئك الذين خالفوا الرسول في أهل بيته قد ماتوا، ولكنهم أورثوا حقدهم وظلمهم وبغضهم لأبنائهم وتابعيهم، ولذلك نجد الكثير من هم في خط يزيد بن معاوية.

فحكام العراق الآن (المقصود هم حكام النظام السابق) - دون أدنى شك - هم التابعون والوارثون الحقيقيون لظلم الأمويين والعباسيين.

وإني إذ أبكي الحسين وأتابع أعداءه عملاً، إنما أكون مشايعاً لقتلة الحسين وورثتهم؛ بمعنى أن دمعتي وبكائي الطويل لن ينفعني بمقدار أنملة، ولن يغير من الواقع والحقيقة شيئاً أبداً.

إن المشكلة ليست في تلك الفئة التي تبغض أهل البيت عليهم السلام قلباً وقالباً، فهذه الفئة كالكفرة الذين يعلنون كفرهم، وبالتالي فإن من المكن التحسب لهم وأخذ الحيطة منهم.

ولم تكن المشكلة في يوم من الأيام في الأقلية التي تعلن ولاءها لأهل البيت وتقلدهم في كل صغيرة وكبيرة، ولو أدى ذلك إلى خوض المصاعب والمحن كما أثبت التاريخ.

فهذه الأقلية تحتل قمّة الإيمان، وهي قلب الدين النابض، لكن المشكلة في هذه الأكثرية المصابة بمرض الازدواجية، حيث تؤمن بأهل البيت كأئمة حق وتعمل ضد ما يأمرون به وينهون عنه.

ولقد صدق القائل حينما وصف للإمام الحسين بن علي عليهما السلام واقع أهل الكوفة حيث التقاه في طريقه إليها بقوله: يا ابن رسول الله؛ قلوب القوم معك وسيوفهم عليك.

الشيعة والزهراء عليها السلام

بداعي التفاوت في روايات استشهاد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام نعيش عدة أيام هذه الذكرى الأليمة، والسؤال الوارد الآن هو: أين نحن من سيرة سيدة نساء العالمين التي نعتبرها المعيار والقدوة، لاسيما وأننا نطلب شفاعتها ونؤكد أننا من شيعتها؟ فهل نحن كذلك فعلاً؟ وكيف نكون معها ولا نكون في الجبهة المعادية لها؟

والجواب يبدو واضحاً وجليّاً للغاية، وبإمكاننا معرفته بواسطة مقارنة سلوكنا بأفعالها ومواقفها أولاً، وبمقارنة أقوالنا بأقوالها، والأمر ليس مستعصياً أن يتعرف كلّ واحد منّا على فعل الزهراء، حتى يقيس نفسه بها.

وأقولها بكل صراحة: إنّ من المستحيل أن تتبع أمة من الأمم نهج فاطمة الزهراء وموازينها ثم تكون أمة متخلفة، فأمة تتبع الزهراء لا تستضعف ولا تذل، وعلى ذلك كلّه، فإنّ التخلف والذلّة والاستضعاف إنما منشؤه نحن أولاً وأخيراً، وليس في معايير الزهراء.

وتبدو الازدواجية ظاهرة كل الظهور علينا، حيث نعيش هاجس الخوف والرعب من أن تتخطفنا الأمم من حولنا، ومع ذلك ندعي بصلافة بالغة اتباع الزهراء ومحبتها.

فهذا هو التناقض بعينه والخرافة بعينها، إذ لا يمكن مطلقاً أن يكون نهج الزهراء نهجاً يحملنا الالتزام به الى التخلف والفرقة والذل.

إن أبرز ما خلدته الزهراء من سيرة فاضلة مجاهدة هو أنها لم تعش لنفسها أو تفكر في نفسها كإنسانة وكصديقة، بل هي عاشت لنهج الإسلام الأصيل؛ دين أبيها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن نماذج هذه الحقيقة أنها حينما عادت من المسجد لاحتجاجها على مصادرة الحق من قبل أبي بكر، وجدت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام جالساً في زاوية من زوايا البيت وقد احتضن ركبتيه حزيناً متفكراً بشأن هذه الأمة التي خالفت رسولها فور وفاته، بالرغم من أن الرسول كان قد أخبره بكل شيء سيحدث بعده... اشتكت الزهراء لزوجها أمير المؤمنين ظلامتها محرّضة إياه على الأخذ بحقها لاسيما وهو بطل الأبطال وصاحب ذي الفقار وفاتح خيبر.. فأجابها أمير المؤمنين بكلمات؛ الغرض منها التهدئة والتخيير بين الأخذ بحقها وبين بقاء الدين.

فهي إن أرادت حقّها - الذي يبدو في الظاهر شخصياً - لابد أن تعرف أن لا يبقى للإسلام وجود، وإن هي أرادت بقاء الدين لابد أن تحتسب إلى الله ظلامتها وآلامها.

حيث قال عليه السلام: فاحتسبي الله، فقالت عليها السلام: حسبي الله وأمسكت ثم لم تشتكي لأمير المؤمنين أبداً، وهي التي كانت تعلم علم اليقين أنها لو اقترحت عليه الأخذ بحقها للبّى الطلب، إذ هي فاطمة التي جاء فيها «وان الله عز وجل ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».

وإذ تبين لنا أن مصلحة الدين هي الأساس في سلوك الزهراء عليها السلام، لنعد إلى أنفسنا وننظر إلى مستوى وجود هذا الأساس والمعيار في سلوكنا، فهل خالفنا مصالحنا الشخصية من أجل مصلحة الدين؟ وهل خالفنا منافعنا لصالح قضية دينية؟

العصمة الفاطميّة

شهد أنّ فاطمة عصمة اللّه

إنّ اللّه سبحانه وتعالى هو الحكيم العليم المختار، وقد اختار من خلقه صفوةً ليحملوا رسالاته السماوية، ويبلّغوها ويهدوا الناس سواء السبيل وإلى الصراط المستقيم، فإنّه كتب على نفسه الرحمة، فهو اللطيف الخبير، ومن لطفه اختار الأنبياء والرسل للهداية وليقوموا الناس بالقسط، ثمّ اختار الأوصياء خلفاء، ثمّ وفّق العلماء ورثة الأنبياء.

وقد اشترط على الأنبياء الزهد في هذه الدنيا، فإنّ اختيار اللّه بالاختبار والامتحان والاصطفاء عن حكمة، من دون الوصول إلى حدّ الإلجاء، وإنّ للّه الحجّة البالغة، فلابدّ من اختبار لمن يقع عليه الاختيار ولغيره حتّى لا تكون فتنة.

فاختبر الأنبياء والأوصياء في عوالم تسبق هذا العالم الناسوتي، فشرط اللّه سبحانه عليهم الزهد، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم وقدّم لهم الذكر العلي والثناء الجلي، كما جاء ذلك في دعاء الندبة؛ والدعاء الوارد في آخر مفاتيح الجنان الذي يستحبّ قراءته في كلّ عيد وفي يوم الجمعة.

وإنّما اشترط عليهم الزهد، لأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، والنبيّ والوصيّ لابدّ أن يكون معصوماً بقاعدة اللطف وغيره من الأدلّة العقلية والنقلية.

فلابدّ أن يزهد في دنياه، ويُعصم من الذنوب ومن كلّ ما يشينه مطلقاً، حتّى تطمئنّ النفس إليه، ويؤخذ بقوله وفعله وتقريره مطلقاً، فيكون الأسوة والقدوة على الإطلاق.

وهذا الزهد من شؤون القيادة بصورة عامة المتمثّلة بالنبوّة والإمامة، ومن يحذو حذوهم ويسلك مسالكهم ومناهجهم من العلماء الصالحين.

فيشترط على العالم الرباني الزهد في هذه الدنيا أيضاً، حتّى يؤخذ بقوله ويتّبع أمره، وإذا رأيتم العالم زاهداً فادنوا منه فإنّه يلقى عليه الحكمة وإنّها تتفجّر من ينابيع قلبه، وإنّ اللّه يرفده ويضيّفه على موائد علمه وحكمته، وإذا رأيتم العالم مقبلاً على دنياه، يخلط الحرام بالحلال، فاتّهموه في دينه، فإنّه لا يؤخذ منه العلم، فلينظر الإنسان إلى علمه ممّن يأخذه، فإنّه من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن تكلّم عن اللّه فقد عبد اللّه وإلاّ فلا، فمن ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

فمن أوّليات شؤون الإمامة والقيادة الروحية على الصعيدين الفردي والاجتماعي إنّما هو الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها.

فعصمة الأنبياء الذاتية المطلقة تبتنى على العلم اللدني أوّلاً - كما هو ثابت في محلّه - وعلى الزهد ثانياً.

عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام

فقد اختار اللّه من خلقه واختصّها لذاته واصطفاها لنفسه ليتجلّى فيها أسماؤه وصفاته، وتكون مظهراً لجماله، فإنّه لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، فقدّم

لها الذكر العليّ والثناء الجليّ، بعد أن اختبرها وامتحنها أيضاً.

إلاّ إنّه امتحنها بالصبر، والصبر هو أمّ الأخلاق وأساسه، فإنّها بمراحلها الثلاث - التخلية والتحلية والتجلية - مدعومة بالصبر، كما أنّه أساس الكمال.

وإنّما وقفنا على امتحانها بالصبر باعتبار ما ورد في زيارتها في يوم الأحد من كلّ أسبوع، كما في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي قدس سره: «السلام عليكِ يا ممتحنة قد امتحنكِ الله قبل أن يخلقكِ بالصبر فوجدكِ لما امتحنكِ صابرة».

فتجلّت العصمة الإلهية في جمال فاطمة الزهراء إذ جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فعصمتها من العصمة بالمعنى الأخصّ، المختصّة بالأربعة عشر معصومًا عليهم السلام.

وممّا يدلّ على عصمتها:

١. قوله تعالى في آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣).

فالله الطاهر طهّر بإرادة تكوينية أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمة عليها السلام وعصمهم بعصمة ذاتية ومطلقة واجبة عقلًا ونقلًا.

٢. إنّها عدل القرآن الكريم لحديث الثقلين المتّفق عليه عند الفريقين - السنّة والشيعة - ولمّا كان القرآن معصوماً فكذلك عدله أهل البيت عترة الرسول المصطفى عليهم السلام.

٣. إنّها كفؤ عليّ ولولاه لما كان لها كفؤ آدم وما دونه، ولا يتزوّج المعصومة إلاّ المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلفاطمة ما لعليّ عليهما السلام إلاّ الإمامة.

فكلّ ما ثبت لعليّ عليه السلام بالمطابقة ثبت للزهراء عليها السلام بالالتزام، وكلّ شيء ثبت لفاطمة بالمطابقة ثبت بالدلالة الالتزاميّة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام

٤. إنّها حوريّة بصورة إنسية، والملائكة معصومون فكذلك فاطمة الحوريّة.

٥. وحدة الإرادة الإلهيّة والفاطميّة، فإنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وإنّه لم يغضب ليونس صاحب الحوت، بل يغضب لغضبها، فوحدة الإرادة دليل على العصمة.

٦. إنّها سيّدة النساء في الدنيا والآخرة، وكيف تكون سيّدة الأوّلين والآخرين وهي غير معصومة.

٧. آية المباهلة، وقدّم النساء على الأنفس، ربما إشارة إلى أنّ النفوس فداها، «فداكِ أبوكِ» «فداها أبوها».

٨. إنّها العالم العلوي والعالم السفلي في قوسي الصعودي والنزولي.

٩. إنّها صدر النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّ صدره يحمل القرآن دفعة واحدة وفي ليلة القدر، في ليلة القدر وهي فاطمة الزهراء عليها السلام.

١٠. لا يعرف قدرها إلاّ من قدّرها، ولا يعرف أسرارها إلاّ من خلقها، ومن أذن له الرحمن.

١١. إنّها مفروض الطاعة على الخلق مطلقاً، وكيف تكون مفروض الطاعة على الإطلاق وهي غير معصومة.

١٢. هي حجّة الحجج وأسوتهم - كما ورد في الأخبار الشريفة -.

١٣. إنها مجمع النورين بحديث الأفلاك، فتحمل أسرار النبوّة والإمامة، وإنّها أمّ أبيها.

١٤. إنّها حبل الله المدود، فلابدّ أن يكون معصوماً، وإلاّ كيف يتمسّك على الإطلاق بما لم يكن معصوماً، «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاطمة بهجة قلبي وحبله المدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى».(فرائد السمطين:٢/٦٦)

١٥. امتحانها بالصبر وهو أساس الكمال والأخلاق الذي منها الزهد.

١٦. علمها اللدنّي.

١٧. الإجماع القطعي الدالّ على عصمتها، كما عند المشايخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم.

١٨. الآيات والروايات الكثيرة الدالّة على فضلها وعظمتها، وتعلّقها بعالم الغيب.

١٩. سيرتها وحياتها تفوح منها عطر العصمة الإلهيّة.

٢٠. فاطمة هي التي كان ينزل الوحي في بيتها وكانت تسمع صوت جبرائيل عليه السلام ولا تراه.

ووجوه أخرى يقف عليها المحقّق والمتتبّع، ويعلم بيقين وقطع أنّه لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله الكبرى.

بقلم: السيد عادل العلوي

مصير الأطفال يوم القيامة

ما هو مصير الأطفال يوم القيامة؟ هل يحاسبون كما يحاسب الكبار؟ أم أنهم يدخلون الجنة بدون حساب؟ أم أنهم لا يدخلون الجنة وإنما يبقون في الأعراف؟ وهل يمكن قبول التفرقة بين أطفال المؤمنين وأطفال الكفار والمشركين؟ والالتزام بأن أطفال المؤمنين في الجنة وأطفال الكفار في النار؟

حكم العقل

في الإجابة على هذه الأسئلة، يمكننا مقاربة الموقف تارة طبقاً لحكم العقل، وأخرى وفقاً للنصوص الدينية، أمّا مقاربة الموقف طبقاً لما يحكم به العقل فإنها تفرض علينا القول بدون تردد: إنه يقبح على العادل الحكيم أن يعاقب الأطفال وكل من لم يجرِ عليه قلم التكليف، كالمجنون والأبله، وكيف يعاقبون على ما لم يكلفوا به؟! إن هذا هو الظلم بعينه، وقد تنزه الله سبحانه عن ظلم عباده البالغين، فكيف بالأطفال غير المكلفين؟!

لكن ما الذي يمكن أن يفعله الله بهم؟ أيدخلهم الجنة أم يكونون في عداد أهل الأعراف؟

والجواب: بما أن بعثهم يوم القيامة حتمي، وحيث لا واسطة بين الجنة والنار، لأن الأعراف هي محطة مؤقتة على طريق الجنة أو النار فيتعيّن أن يكونوا من أهل الجنة لا محالة.

بكلمة أخرى: لمّا كان الله سبحانه وتعالى قد رفع التكليف عن الأطفال بإجماع المسلمين وقد ورد ذلك في العديد من النصوص من قبيل الحديث: (إن القلم رفع عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ).(الخصال للصدوق:٩٤)

فيستحيل في عدله أن يحاسبهم ويؤاخذهم على ما لم يكلفهم به، أجل لو صرفنا النظر عن (رفع القلم) عن الأطفال، لأمكننا القول: إن الله يحاسب الناس كلهم على ما تحكم به عقولهم، سواء بلغ هؤلاء الناس سن التكليف أم لم يبلغوا، لأنّ بعض الأطفال لاسيما ممن راهق الحلم يمتلك عقلاً ووعياً يمكّنه

من إدراك بعض الحقائق الدينية خصوصاً الفطرية منها، من قبيل وجود الله سبحانه أو وحدانيته، فإن جحد الطفل بهذه الحقائق التي يدركها عقله فإنه يستحق المؤاخذة على جحوده، وأي فرق في حكم العقل بين طفلين أو شخصين مات أحدهما بعد بلوغ سن التكليف بيوم، ومات الآخر قبل البلوغ بيوم واحد؟!

ويمكننا القول: إنه يتحتم علينا مقاربة الموقف فيما نحن فيه بعيداً عن حديث رفع القلم، لأنّ المستفاد من النصوص رفع قلم التكليف والتشريع عن الصبي، وهذا بطبيعة الحال لا يشمل القضايا الاعتقادية التي يحكم بها العقل، لأنه لا علاقة لها بالتشريع، ولذا فلا مانع عقلاً من محاسبة كل من اكتمل عقله ووعيه - ولو لم يكن قد بلغ سن التكليف الشرعي - على عدم اتباعه لما يحكم به العقل من وجود الله سبحانه أو وحدانيته أو الإقرار باليوم الآخر، ولا يكون في مؤاخذته على ذلك أي ظلم له، وإنما الظلم في مؤاخذته على ما لم تقم به الحجة عليه.

ماذا في النصوص؟

هذا ما تقتضيه القواعد العقلية، ولكن ماذا عن النصوص الدينية الواردة في هذا الشأن؟ أقول: إن مقاربة الموقف فيما نحن فيه على ضوء النصوص الدينية إنما يكون صحيحاً إذا توفرت لدينا نصوص قطعية الدلالة والسند، أما إذا كانت ظنية في دلالتها، أو في سندها، فلا يصح بناء الموقف العقدي على أساسها.

وعليه، فالاستشهاد بأخبار الآحاد لتحديد الموقف فيما نحن فيه غير سديد، لاسيما في حال مخالفتها لحكم العقل، أو كونها متعارضة فيما بينها، فلنلاحظ ما ورد في النصوص، ثم نتخذ الموقف المناسب، والنصوص الواردة في المقام على طائفتين:

الأولى: ما ورد في حكم أطفال المؤمنين.

والثانية ما ورد في حكم أطفال غير المؤمنين.

وفيما يلي نتناول المسألة وفقاً للتقسيم المذكور، لاسيما أنه تقسيم معتمد من علماء الكلام أيضاً، هذا مع أن النتيجة في المقامين قد تكون واحدة كما سنرى.

أطفال المؤمنين

فيما يرتبط بأطفال المؤمنين، فثمة اتفاق بين علمائنا على أنهم مخلدون في الجنة مع ذويهم المؤمنين، وربما استشهد بعض المفسرين على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. (الطور:٢١)

بحمل الذرية على إطلاقها، فتشمل الصغار والكبار، وقد يستفاد ذلك من بعض الروايات الواردة في تفسير الآية.

ففي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قَالَ: «قَصُرَتِ الْأَبْنَاءُ عَنْ أَعْمَالِ الْآبَاءِ فَأَلْحَقَ اللَّهُ الْأَبْنَاءَ بِالْآبَاءِ لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ». (من لا حضره الفقيه:٣/٤٩٠)

ولكن يلاحظ على هذا الاستدلال: أنّ الآية لا ربط لها بالأطفال، وإنما هي ناظرة إلى البالغين بدليل قوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾، فإن اتباع الأبناء لآبائهم في الإيمان لا معنى له في الأطفال، وإنما يتم في البالغين كما لا يخفى.

إلا أنّ عدم تمامية دلالة الآية لا يضر بما قلناه: من أن أطفال المؤمنين مخلدون في الجنة، فإن هذا - مضافاً إلى أنه مما يحكم به العقل - قد وردت فيه الروايات العديدة، من قبيل صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى كفل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين، يغذوانهم من شجرة في الجنة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصور من دُرّ، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطُيّبوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم...». (التوحيد٣٩٣)

وتَذْكُر روايات أخرى أنه يُدفع بأطفال المؤمنين - إذا ماتوا، ولم يكن أحد من ذويهم قد سبقهم إلى العالم الآخر - إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لتغذوهم حتى يَقْدِمَ أحد ذويهم فتدفعهم إليه.

(التوحيد:٣٩٣)

ولا منافاة بين الخبرين إذ من الممكن أن يدفع بعضهم إلى إبراهيم وسارة، وبعضهم الآخر إلى الزهراء عليها السلام أيضاً.

وفي ضوء ذلك لا بدّ أن نرفع اليد عن أية رواية أخرى تنافي ما تقدم، من قبيل الرواية التي تتحدث عن أن أطفال المؤمنين يُكَلّفون يوم القيامة بدخول نار معينة تعدّ لهم، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ثم يدخل إلى الجنة، ومن عصى سيق إلى النار.(التوحيد:٣٩٤)

فمثل هذه الرواية لا يمكن الوثوق بها، مضافاً إلى أنه (لا خلاف بين أصحابنا في أن أطفال المؤمنين يدخلون الجنة بلا تكليف) كما قال بعض العلماء.(مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار:١/٢٨٦).

أطفال المشركين

أما الأطفال الذين تولدوا من كافريْن أو مشركيْن، فالأقوال في مصيرهم الأخروي عديدة:

القول الأول: وهو المشهور بين المتكلمين وحاصله: إنهم لا يدخلون النار، بل إما أن يدخلوا الجنة أو يسكنوا الأعراف.

الثاني: قول جماعة من المحدِّثين وهو: أنهم يُكَلّفون في القيامة أن يدخلوا ناراً تؤجج لهم، فمن أطاع ودخل تلك النار كانت عليه برداً وسلاماً فيدخله الله الجنة، ومن خالف وعصى ولم يدخل تلك النار كان مصيره إلى جهنم وبئس المصير.

الثالث: قول جماعة الحشوية، حيث ذهبوا إلى أنهم يعذبون كآبائهم، وبعبارة أخرى: إن أطفال المؤمنين يحشرون مع آبائهم في الجنة، وأطفال الكفار يدخلون النار مع آبائهم.

الرابع: مذهب التوقف وإرجاء أمرهم إلى الله.

هذه أهم الأقوال في المسألة.(الأنوار النعمانية:٤/٢٤٥. مصابيح الأنوار ١/٢٨٧)

محاكمة الأقوال

أقول: إنّ تبني أي قول من الأقوال المذكورة هو رهن اعتضاده بالحجة والبرهان، لأنه لا يمكننا أن نحكم بدخول الناس في النار على أساس الظنون أو الأوهام بل لا بدّ من حجة قاطعة، فلنلاحظ أدلة هذه الأقوال.

مذهب التوقف

أمّا القول الرابع: وهو القول بالتوقف في شأنهم، وإرجاء أمرهم إلى الله، فيشهد له بعض الروايات، لعل أوضحها دلالة: صحيحة زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: «سئل عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»، ثم أقبل عليّ فقال: «يا زرارة: هل تدري ما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟»، قلت: لا، فقال: «إنما عنى: كُفّوا عنهم، ولا تقولوا فيهم شيئاً، وردُّوا علمهم إلى الله». (الكافي:٣/٢٤٩، ح٤)

ونلاحظ على هذا القول: أنه وفي ظل وجود نصوص معارضة لمفاد هذه الرواية يبعد حصول الوثوق بها، مع أنّ ثمة ملاحظة مهمة يمكن أن نسجلها على مضمونها، وحاصلها: أن قوله صلى الله عليه وآله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، يوحي بأن الله يحاسبهم على ما كانوا سيعملون لو بقوا أحياءً، فإن كانوا عاملين خيراً فهم إلى خير، وإن كانوا عاملين شراً فهم إلى النار.

وهذا المضمون يصعب الالتزام به، لأن العقاب إنما يكون على ما فعله الإنسان وما صدر عنه من أعمال قبيحة، أما العقاب على أساس ما يمكن أن يفعله لو بقي حياً في مستقبل الأيام، فهذا لا مبرر له في منطق العقل وشريعة العقلاء.

قول جماعة الحشوية

أما القول الثالث الذي تبنّاه جماعة من الحشوية، والقاضي بأنّ أطفال الكفّار يُحشرون مع آبائهم في النار، فهو قول مرفوض رفضاً مطلقاً، رغم وجود بعض النصوص المؤيّدة له، كما في الحديث الذي أرسله الكليني قائلاً: (وفي حديث آخر: «أما أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ

﴿بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾». (الكافي:٣/٢٤٩)

والوجه في رفض هذا القول: وضوح منافاته لعدالة الله سبحانه في تعذيب غير المكلفين من الناس، فما ذنب هذا الطفل المتولد من كافرين حتى يُعذّب قبل أن تقام عليه الحجة، أو يعاقب على ذنوب والديه؟ وهل يمتلك هذا الطفل سواء كان متولداً من كافرين أو مؤمنين أن يحدد عقيدة والديه، لتصح مؤاخذة هذا على كفر والديه، وإثابة الآخر على إيمانهما؟!

وأما الحديث المذكور، فإنه لو كان صحيحاً لما أمكن الاعتماد عليه، فكيف وهو ضعيف بالإرسال، ومثله في الضعف خبر وهب بن وهب عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «قال علي عليه السلام: «أولاد المشركين مع آبائهم في النار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة».(من لا يحضره الفقيه:٣/٤٩١)

فإن وهب، الرّاوي للحديث، هو أكذب أهل البرية كما ذكر بعض علماء الرجال.

ولا يخفّف من بشاعة هذا القول: دعوى أنّ الله إنما يعاقب الطفل إيلاماً وإيذاءً لوالديه الكافريْن، فهذا أشدّ شناعةً من سابقه، ومخالف لمنطق العقل، ولنص القرآن الكريم في أنه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. (الإسراء:١٥)

وربما استدل الحشوية لمذهبهم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾. (نوح:٢٦-٢٧)

بتقريب: أن الكافر حيث إنه لا يلد إلّا كافراً فاجراً، فمن الطبيعي أن يكون مصير الكافر النار.

ولكن يلاحظ على ذلك، أن نوحاً عليه السلام فيما حكته الآية عنه، لا يريد القول إن ابن الكافر لابدّ أن يكون كافراً، فهذا يكذّبه الواقع، فما أكثر الأشخاص الذين اختاروا الإيمان وحسن إسلامهم مع أن آباءهم كفرة وماتوا على الكفر! وهكذا وبطريق أولى، فإن الآية لا تريد القول إن أطفال الكافر هم كفرة فجرة، وإنهم يعاقبون عقاب الكافر، وإنما المقصود - والله العالم - الإشارة إلى حقيقة اجتماعية وهي أن الإنسان ابن مجتمعه، يتربى على عاداته وتقاليده ويتشرب أفكاره وعقائده، فمجتمع الكفر مهيّأ ليكون أبناؤه كفرة، ومجتمع الإيمان مهيأ ليكون أبناؤه مؤمنين، وإن مجتمع النبي نوح عليه السلام قد بلغ بهم التمرد على الله ورسله حداً ينعكس بطبيعة الحال على ذريتهم وأبنائهم، فيكون الأبناء على دين الآباء كما هي طبيعة الأمور.

وربما يقال: إن الله سبحانه إنما أدخل أطفال الكافرين النار، لأنه علم من حالهم أنهم لو عاشوا أبداً لكانوا مُصرين على المعصية، بينما أدخل أطفال المؤمنين الجنة، لأنه علم من حالهم أنهم لو عاشوا أبداً لأطاعوا أبداً.

وجوابه: إن هذا الكلام يفترض أن أطفال الكفار سيكونون كفرةً حتماً، وأنّ أطفال المؤمنين هم مؤمنون دوماً، وهذا مخالف لواقع الأمر، كما ذكرنا؛ فإن بعض أبناء الكفرة يعتنقون الإيمان، كما أن بعض أبناء المؤمنين يختارون الكفر على الإيمان، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن العقاب إنّما يكون على ما فعله الإنسان لا على ما سيفعله في المستقبل لو امتدّ به العمر.

أجل، إنّ ما ذكر إنما يصلح تفسيراً لخلود أهل النار من الكفّار فيها، وخلود أهل الجنة من المؤمنين فيها، فإنّ الخلود في الجنة أو النار يتمّ تبريره عادةً على أساس النوايا، إلّا أن هؤلاء هم من المكلّفين الذين انخرطوا عملياً في الكفر أو الإيمان، وظهر منهم التمرد والعصيان، بخلاف الأطفال الذين توفاهم الله قبل سن التكليف، وقبل

أن يختاروا الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة.

تكليف الأطفال في القيامة

والقول الجدير بأن نتوقف عنده هو القول الثاني الذي تبناه بعض المحدثين، ومفاده: إن الله سبحانه يأمر بتأجيج نار عظيمة ثم يأمر الأطفال بالدخول فيها، فمن استجاب ودخل أنجاه الله من الاحتراق، ثم أدخل الجنة، وأمّا من لم يلق بنفسه فيها فيعتبر عاصياً ويدخله الله النار، وقد وردت بهذا الرأي عدة روايات: منها صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام: «ثلاثة يحتجّ عليهم: الأبكم، والطفل، ومن مات في الفترة، فترفع لهم نار فيقال لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال تبارك وتعالى: هذا قد أمرتكم فعصيتموني». (الكافي:٣/٢٤٩)

إننا بالإمكان أن نسجّل على هذا الرأي عدة ملاحظات:

أولاً: إنّ يوم القيامة هو يوم انقطاع التكليف: «اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».(نهج البلاغة:١/٩٣)

فكيف يُكَلّف هؤلاء الأطفال في يوم ارتفاع التكاليف، مع أنهم لم يكلّفوا في عالم التكليف والتشريع؟! وهذه الملاحظة سجّلها جمعٌ من علماء الكلام، قال الصدوق رحمه الله: (إن قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك أعني تكليف الأطفال ويقولون: إنه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف، ودار الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة، ودار الجزاء للكافرين إنما هي النار، وإنما يكون هذا التكليف من الله عزّ وجل في غير الجنة والنار، فلا يجوز أن يكون كلّفهم في دار الجزاء...). (الخصال:٢٣٨)

ويزداد المشهد أو الموقف غرابةً في أمر هذا التكليف، إذا لاحظنا أن الطفل ربما كان صغيراً جداً - كالرضيع مثلاً - فهل يوجّه إليه تكليفٌ بإلقاء نفسه في النار، وإذا لم يمتثل يحشر في جهنم مع العصاة المجرمين؟!

وثانياً: لو أراد الله سبحانه أن يختبرهم ويمتحنهم، فإنه يختبرهم بتكليف عقلائي، كما نختبر أبناءنا في الدنيا، أما اختبارهم بإلقاء أنفسهم في النار، ولاسيما أنها نار عظيمة كما وصفت بعض الروايات، فهو تكليف غريب وليس منطقياً، ولهؤلاء الأطفال أن يحتجوا على الله، بأنك كلّفتنا بأمر شاق لا يمكن تحمله، بينما كلّفت أهل الدنيا بتكاليف ليس فيها مشقة ولا عسر!

وثالثاً: لو تعقّلنا توجّه مثل هذا التكليف إلى هؤلاء الأطفال والصّغار، إلا أنّ عدم امتثالهم لهذا التكليف قد لا يُمثّل تمرداً على الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أن يعتبر ذلك كفراً به، إذ ربما تملّك الخوف هؤلاء الأطفال من الاحتراق في هذه النار المرعبة والعظيمة، فامتنعوا عن إلقاء أنفسهم فيها، ولاسيما بملاحظة أن الإنسان بطبيعته يفر من النار.

وعليه، فلو أراد الله محاسبتهم، فليكن حكم هؤلاء الأطفال حكم العصاة من المؤمنين الذين قد يشملهم العفو الإلهي أو تنالهم شفاعة أحد الأولياء، وليس حكم الكفرة الذين يُخَلّدون في النار.

هذه الملاحظات تبعث على التأمل الكبير في شأن الروايات المذكورة، الأمر الذي يحول دون حصول الوثوق بها والاستناد إليها في قضية عقدية كالتي نبحثها.

وفي ضوء ذلك كله، يتّضح أن القول الأول المتقدم، والذي يقضي بدخول أطفال المشركين والكافرين إلى جنات النعيم، هو أصح الأقوال وأقربها إلى حكم العقل والمنطق، وهذا يعني أنه ليس ثمة فرق بين أطفال المؤمنين وأطفال الكافرين في أن الجميع يدخلون الجنة بغير تكليف ولا حساب.

بقلم: الشيخ حسين الخشن

هل صحيح أن فاطمة كرهت الحسين عليه السلام عند حمله؟

ورد في تفسير مقبول من علماء الهند أن الحسين عندما كان في بطن فاطمة كانت كارهة لهذا الحمل، فهل صحيح أنها كانت تكره الحسين؟!

الجواب:

١. يقصد الذاكر لهذه الشبهة ما ورد في الكافي عن الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله حيث جاء: (عن مُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ وَالْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «لَمَّا حَمَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام بِالْحُسَيْنِ جَاءَ جَبْرَئِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَقَالَ إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام سَتَلِدُ غُلَاماً تَقْتُلُه أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ فَلَمَّا حَمَلَتْ فَاطِمَةُ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام كَرِهَتْ حَمْلَه وَحِينَ وَضَعَتْه كَرِهَتْ وَضْعَه»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام: «لَمْ تُرَ فِي الدُّنْيَا أُمٌّ تَلِدُ غُلَاماً تَكْرَهُه وَلَكِنَّهَا كَرِهَتْه لَمَا عَلِمَتْ أَنَّه سَيُقْتَلُ»، قَالَ وَفِيه نَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (لقمان:١٤). (الكافي:١/٤٦٤)

فقال: حَمَلَتْه أُمُّه كُرْهاً وَوَضَعَتْه كُرْهاً وذلك أَنَّ اللَّه أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وَبَشَّرَه بِالْحُسَيْنِ عليه السلام قَبْلَ حَمْلِه وَأَنَّ الإِمَامَةَ تَكُونُ فِي وُلْدِه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَخْبَرَه بِمَا يُصِيبُه مِنَ الْقَتْلِ وَالْمُصِيبَةِ فِي نَفْسِه وَوُلْدِه ثُمَّ عَوَّضَه بِأَنْ جَعَلَ الإِمَامَةَ فِي عَقِبِه وَأَعْلَمَه أَنَّه يُقْتَلُ ثُمَّ يَرُدُّه إِلَى الدُّنْيَا وَيَنْصُرُه حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاءَه وَيُمَلِّكَه الأَرْضَ وَهُوَ قَوْلُه ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ وقَوْلُه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ فَبَشَّرَ اللَّه نَبِيَّه صلى الله عليه وآله أَنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ يَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَيَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ عليها السلام بِخَبَرِ الْحُسَيْنِ وَقَتْلِه فَحَمَلَتْه كُرْهاً، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَحَداً يُبَشَّرُ بِوَلَدٍ ذَكَرٍ فَتَحْمِلُه كُرْهاً».

أي أنها اغتمت وكرهت لما أخبرها بقتله، ووضعته كرهاً لما علمت من ذلك وكان بين الحسن والحسين عليهما السلام مدة طهر واحد وكان الحسين عليه السلام في بطن أمه ستة أشهر وفصاله أربعة وعشرون شهراً وهو قول الله: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾. (تفسير القمي:٢/٢٩٧)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ جبرئيل نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة، تقتله أمتي من بعدي، فعرج ثم هبط عليه فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء ثم هبط فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: قد رضيت.

ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرني بمولود يولد لك، تقتله أمتي من بعدي، فأرسلت إليه لا حاجة لي في مولود تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها أنّ الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه أن قد رضيت، فـ﴿ ...حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي... ﴾. (الكافي:٢/٥٠٦)

فلولا أنه قال: أصلح لي في ذريتي، لكانت ذريته كلهم أئمة. (كامل الزيارات:٥٧)

فنرى أن الكاتب والمشكك تعمد التحريف، حيث أخذ من الحديث الشريف كلمة: (كرهت حمله)، وترك تفسير الإمام الصادق عليه السلام معنى كراهتها لحمله!

ثم أغمض الكاتب بصيرته عن هذه المنقبة العظيمة للزهراء والأئمة من ذريتها عليهم السلام.

وهذا قليل من كثير من تحريفاتهم لفضائل أهل البيت الطاهرين، وجعلهم المنقبة منقصة!

وفي المقابل تحريفهم لمطاعن من اتخذوهم أئمة بدون سلطان، وجعلهم الفسق تقوىً، والكفر إيماناً!

بقلم: الشيخ علي الكوراني

الاعتبار من تاريخ الأمم في نهج البلاغة

يُذَّكِر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته (القاصعة)، الأمّةُ بالتاريخ السلبي الذي عاشت تحت تأثيره وفقدت معه مواقع القوة، فتحدّث عن المسألة السياسية في قضية حرّية المجتمع في تقرير مصيره أو سقوطه تحت تأثير القوى الظالمة والطاغية، ليحلّل أسباب ذلك؛ فالأمّة قد تقع تحت تأثير سيطرة الطغاة، لأنَّ طبيعة السلوك الذي يطبع علاقاتها وتطلّعاتها، يترك تأثيرات سلبية في ما تواجهه من مشاكل.

ولعلَّ النقطة الحيوية في هذا المجال، هي مسألة التمزّق الذي تعيشه الأمّة في داخلها، والتخلّف الّذي يطبع ذهنيّتها، فلا تملك معهما تحقيق التوازن في أمورها، سواء على مستوى تقاليدها، أو عاداتها، أو ما أشبه ذلك.

الاعتبار من تاريخ الأمم

يذكّرنا الإمام عليّ عليه السلام إلى دراسة تاريخ ولد إسماعيل - وهم العرب - وولد إسحاق - وهو تعبير عن اليهود أو (بني إسرائيل) - حيث وقع العرب تحت سيطرة الأكاسرة، بينما وقع اليهود تحت سيطرة القياصرة، ومن خلال ذلك، عاشوا الاضطهاد والاستعباد، فلم يملكوا أمرهم ولا مستقبلهم.

وما يريد الإمام علي عليه السلام بيانه في هذا المجال، أنَّكم ربما تسيرون في هذا الاتجاه، وتعيشون تلك التجربة، فعليكم أن تدرسوها لتتفادوا نتائجها السلبية فيما تستقبلونه من أموركم، حتى لا تقعوا في ما وقعوا فيه.. وفيما يلي، نتابع نصّ حديث الإمام عليه السلام في هذا الجانب، ونتابع استيحاء كلماته في كلّ أوضاعنا،

حيث يقول عليه السلام: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام، فما أشدّ اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال!».

يعني خذوا العبرة والدّرس في أحوال بني إسماعيل وبني إسحاق، فقارنوا بين أوضاعهم وأوضاعكم، وبين سلوكيّاتهم وسلوكيّاتكم، لتعرفوا أنّ حالكم الآن هو مثل حالهم سابقاً، وأنّ مثلكم الآن هو مثلهم في السابق، ولذلك، فإنَّ الحديث عنهم يعني الحديث عنكم، باعتبار أنَّ وضعكم يشبه وضعهم، وحالكم عدل لحالهم – وهو المقصود باعتدال الأحوال – وإن مثلكم يشابه مثلهم، وهو قوله: «وأقرب اشتباه الأمثال، تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم وتفرّقهم».

حيث كانوا عشائر متناحرة، وقبائل متنازعة، ومجتمعات لا تأخذ بأسباب القضايا المشتركة ومواطن اللقاء فيما بينها، بل تعيش الفواصل، وتسقط تحت تأثير العصبيات التي لا معنى لها، «ليالي كانت الأكاسرة»، وهم ملوك فارس، «والقياصرة»، وهم ملوك الروم الذين كانوا مقيمين في نواحي الشام، «أرباباً لهم»، أي كانوا يسيطرون عليهم، ويملكون أمرهم، ويهيمنون على كلِّ مقدّراتهم.

«يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق، وخضرة الدنيا»، يعني أنهم كانوا يعيشون في بلاد خضراء، وأنهار تتفجّر وتفيض، وأرياف تعطي الكثير من المزروعات التي تغذّيهم وتغذّي أنعامهم، فكانوا يحتازونهم عن كلِّ ذلك «إلى منابت الشيح»، الأشواك، «ومهافي الريح»، أي الأماكن التي تهبُّ فيها الرياح، وهي الصحارى؛ فبينما يكونون في مواقع الحضارة والرخاء، إذا بهم ينقلونهم إلى الصحراء، ليعيشوا حياتها، «ونكد المعاش»، أي شدّة العيش وعسرته، «فتركوهم عالةً مساكين»، أي لا يملكون اقتصاداً مستقلاً، فهم يعيشون الفقر، ويطلبون حاجاتهم من الآخرين، «إخوان دَبَرٍ ووبر»، فكانوا يأكلون الحيوانات بدمائها – حسب بعض التفاسير – أو كناية عن الجِمال، وفي ذلك إشارة إلى فقرهم وضيق معيشتهم.

«أذلّ الأمم داراً»، فلا يستطيعون الدّفاع عن أنفسهم وعن دورهم حين يهاجمهم أحد، «وأجدبهم قراراً»، إشارة إلى عدم وجود خصب في المكان الّذي يستقرّون فيه، إذ ليس فيه رخاء، بل كانت أرضهم مجدبة غير مزروعة.

«لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها»، فلا يملكون قاعدة تظلّلهم كما يظلّل الجناح ما تحته، بحيث يعتصمون كما يعتصم الإنسان من حرارة الشّمس، «ولا إلى ظلّ أُلفة يعتمدون على عزّها»، إذ لا يملكون نوعاً من الألفة الاجتماعيّة التي يألف فيها أحدهم الآخر، فيتساندون ويتواصلون، ويقوّي بعضهم بعضاً، ليأخذوا العزة من خلال ذلك.. وهنا، يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ تآلف المجتمع في علاقاته، ينتج التراحم والتواصل والتعاون، وهذا ما يُكسب المجتمع العزّة.

ويتابع الإمام عليه السلام وصف مآلهم بقوله: «فالأحوال مضطربة»، فليس هناك استقرار في كلِّ نواحيهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة وما إلى ذلك.. «والأيدي مختلفة»، فكلُّ يد تتحرَّك في اتجاه يختلف عن حركة اليد الأخرى، وإنّ الأيدي لا تتوافق ولا تتواصل لكي يشدَّ بعضها بعضاً، وهو كناية عن أنّ المجتمع يتحرك أفراده كلّ منهم في اتجاه يختلف عن الاتجاه الآخر، ولا يتحرّك الجميع باتجاه هدف مشترك.. «والكثرة متفرّقة»، فإننا عندما ندرس الأرقام العدديّة التي يتمثّلونها في تعدادهم، فنجد في ذلك الكثرة التي لم تجتمع لتمثِّل القوّة، لأنَّ الكثرة إنما تشكّل قوّة عندما تنضمّ جهود الأفراد إلى بعضها البعض، أما إذا كان كلّ عدد يتحرّك وحده، فإنه لا يمثِّل قوّةً تذكر.

وكمثالٍ على ذلك، لو أنّ إنساناً يملك مليون دينار، ولكن كلّ دينار من هذه المليون موجود في منطقة، فإنّه لا يستطيع أن يحركها إلى جانب الدّنانير الأخرى، لأنّ قوّة المليون المتفرقة هي قوّة الدينار.

وهكذا بالنسبة إلى المجتمع، فهو إنما يكون قوةً بالملايين، حينما يكون الأشخاص الذين يؤلّفون الملايين موحّدين ومتعاونين ومتواصلين، وإلا فكما يقول المثل:

(كلٌّ يغنّي على ليلاه).

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. (الأنفال:٤٦)

أو كما في حديثه عن اليهود: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾. (الحشر:١٤)

بمعنى أنّه لم يكن هناك مجتمع يهوديّ في صدر الإسلام، وإنما كانوا أفراداً، ولذلك، فقد انتصر الإسلام عليهم آنذاك، حيث كان المسلمون كما في الآية الكريمة: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾. (الفتح:٢٩)

فالإمام عليه السلام يريد أن يقول إنَّ ولد إسماعيل وولد إسحاق كانوا يمثّلون الكثرة العدديّة، ولكنها كانت كثرةً متفرّقة لا تعطي قوّة، «في بلاء أَزْل»، يعني بلاء شديد، «وإطباق جهل»، إذ كان الجهل مسيطراً عليهم، لأنهم لم يأخذوا بأسباب العلم الّذي ينير الطريق إلى القوّة والانتصار والإبداع والإنتاج، وهو ما ترتفع الأمّة من خلاله، «من بنات موؤودة»، فكان وأد البنات يمثّل تقليداً من تقاليد عرب الجاهليّة قبل الإسلام، حيث سادت هذه العادة إثر مهاجمة الفرس بعض المناطق العربيّة، وأخذوا أموالهم، وسبوا ذراريهم، ثم حصلت الهدنة، وطلب العرب منهم أن يرجعوا ذراريهم ونساءهم، فقال كسرى إنه يعطي الحرية لكل أسيرة تريد اللحاق بأبيها أو زوجها، فكلّ بنت لحقت بأبيها إلا بنت واحدة، وهي بنت عاصم بن قيس، الذي يعتبر شريف قومه، فاختارت البقاء مع الفاتحين أو مع من سباها، فأخذ عاصم عهداً على نفسه، أنه كلما تأتيه مولودة بنت، فإنه سيدفنها وهي حيّة، حتى لا يصاب بالعار كما أصيب به حينما لم تلحق به ابنته الأسيرة، فأصبحت تلك عادةً في المجتمع الجاهلي، وقد ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾. (التكوير:٨-٩).

وفي آية أخرى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً ﴾. (الإسراء:٣١)

فالإمام عليه السلام يشير إلى تلك العادة الجاهلية الّتي لا تحمل أيَّ نبض إنساني تجاه هذه الوليدة البريئة في دفنها حيّةً أو عندما تكبر.

ونودُّ في هامش هذه القصة، التنبيه إلى أننا عندما ندرس منشأ كثير من العادات والتقاليد المتخلّفة، سواء التي تفرض نفسها في الوسط الديني أو الاجتماعي، نجد أنها بدأت من خلال شخص قام بعمل، فاستهواه الآخرون، فقلّدوه في ذلك العمل، وتتابعت مسألة التقليد لذلك العمل، حتى أصبح من المقدّسات أو من الضروريّات وما إلى ذلك.

من التّوحيد إلى الصنميَّة

ثمّ يتعرّض الإمام بعد ذلك لقضيّة تحوّل الدّين لدى تلك الأمم من التّوحيد إلى الصنميَّة، فيقول: «وأصنام معبودة»، فقد بدأ ولد إسماعيل وولد إسحاق من مواقع الرّسالة، وهي رسالة النبيّ إبراهيم عليه السلام، وانتهوا إلى عبادة الأصنام، نتيجة الجهل الّذي يجعل الإنسان ينفتح على الخرافات، وأيّ خرافة أعظم من عبادة أحجار، على أساس أنّ فيها أسراراً تتصل باللّه وما إلى ذلك؟! إنّ الذهنيّة الخرافيّة الّتي تسيطر على المجتمع، تجعله يعيش مثل هذه الذهنيّة الصنميّة، سواء كانت صنميّة الحجر أو صنميّة البشر، كالّذين كانوا يعبدون فرعون أو النّمرود أو غيرهما.

«وأرحام مقطوعة»، وقد قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾. (محمد:٢٢)

فعندما تسود الذهنيّة الماديّة أو العصبيّة وما أشبه، فإنها تبعد العلاقات الإنسانيّة عن حيويتها، وتجعل الإنسان ينظر إلى العلاقات من خلال المنفعة والمصلحة، لا من خلال القيم الروحيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة.. «وغارات مشنونة»، فكان هذا الواقع العشائريّ والقبليّ هو السّائد، فكلّ منهم يشنُّ الغارة على الآخر، من أجل السلب والنهب، أو الثارات وما أشبه.. فواقع هؤلاء من خلال مناخ عاداتهم وأوضاعهم وتقاليدهم، هو الّذي جعلهم يسيرون في هذا المنحدر، ويقعون في هذه الهاوية.

نعمة الإسلام

هذا ما كان من أمرهم قبل بعثة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، ولكن بعد أن بعث الله رسوله، كيف تبدّلت الحال؟ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم، حين بعث إليهم رسولاً، فعقد بملّتهم طاعتهم»، حيث ركَّز المجتمع على أساس القانون الرسالي والمفاهيم الروحيّة؛ فدعا هؤلاء الناس إلى الطاعة فيما جاءهم عن الله ورسوله.

«وجمع على دعوته أُلفتهم»، فحقّق الألفة بينهم على أساس قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. (آل عمران:١٠٣)

وقضيّة ألفة القلوب لم تنطلق على أساس الشَّخص، ولا من خلال المال، والجهد الشّخصيّ لا يملك أن يسيطر على العقول والقلوب، والمال قد يطوّع من تعطيه، ولكنه لا يفتح قلبه، فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. (الأنفال:٦٣)

والله تعالى ألّف بين المسلمين من خلال المنهج الإلهيّ لدعوة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، حيث أدخله إلى وجدانهم وعقولهم، فأصبح مجتمعهم مجتمعاً واحداً يألف بعضهم بعضاً، ويتحرّك بعضه مع بعض في الخطّ الواحد الذي رسمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فبعد أن كان المسلمون تحت سيطرة كسرى وقيصر يعيشون العبوديّة، استطاعوا - بعد ذلك - أن يسيطروا على كسرى وقيصر، من خلال الوحدة الروحيّة والخطّ الواضح من خلال الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

«كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها»، فأصبحوا يعيشون الكرامة في أنفسهم، ورجعت إنسانيّتهم، فتحركوا من موقعها في علاقاتهم ببعضهم البعض، «وأسالت لهم جداول نعيمها»، واستطاع المسلمون بفضل الإسلام خلال سنين قليلة، أن يعيشوا الرّخاء والنعمة فيما أفاض الله عليهم من خلال حركة الإسلام في الواقع.

«والتفَّت الملّة بهم في عوائد بركتها»، يعني أنَّ ملّة الإسلام أعطتهم البركة فيما أعطتهم من العوائد والنّتائج، «فأصبحوا في نعمتها غرقين، وعن خضرة عيشها فكهين»، بعد أن كانوا يعيشون الجدب في الصّحراء، «قد تربّعت الأمور بهم»، أي أخذت مواقعها، «في ظلّ سلطان قاهر»، بعد ضعفهم، «وآوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب»، حيث أصبحت السّلطة لهم بعد أن كانت السّلطة القاهرة للآخرين من الطّغاة، «وتعطّفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت»، يعني انطلقت الأمور الّتي فتحت لهم الكثير من مواقع القوّة في قمة الملك الثابت الذي لا يتزلزل، «فهم حكّام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم»، فبعد أن كانوا يخضعون لحكم الأكاسرة والقياصرة، انقلبت الأمور، وأصبح أولئك تحت حكمهم.

«لا تُغمَز لهم قناة»، أي رمحهم متّحد وثابت، ولا يمكن أن يلتوي، «ولا تقرع لهم صفاة».

(نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام:٢/١٥٣-١٥٤)

بقلم: جعفر محمد حسين

حقيقة التوسل والاستغاثة بالزهراء عليها السلام

منذ أن خلق الله البشرية وبالتحديد منذ أن خلق آدم وحواء جعل لهم وسيلة يتوسلون بها إليه لقضاء حوائجهم خصوصًا أن أبينا آدم عليه السلام عندما أذنب بترك الأولى قد توسل إلى الله تعالى بغفران ذنبه تركه الأولى وكان من جملة ما توسل به الكلمات التي تلقاها من الله تعالى وتاب بها عليه تبارك وتعالى ولقد فسرت هذه الكلمات بأصحاب الكساء الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾. (البقرة:٣٧)

إنَّ آدَمَ عليه السلام رَأَى مَكْتُوباً عَلَى الْعَرْشِ أَسْمَاءً مُكَرَّمَةً مُعَظَّمَةً فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ أَجَلِّ الْخَلْقِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَالأَسْمَاءُ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صلوات الله وسلام عليهم أجمعين، فَتَوَسَّلَ آدَمُ إِلَى رَبِّهِ بِهِمْ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ وَرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ. (تأويل الآيات:٥٠)

وبه قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجى في بطن سفينة نوح قوم بهم غفرت خطيئة آدم، وهم الوسيلة والنجوم الطلع.

وعلى هذا الأساس كان التوسل بأولياء الله وأحبائه من الأمور المتعارفة والمتسالمة عليها عند المسلمين بل يتعدى ذلك إلى غير المسلمين فنحن نجد أن الكثير من الديانات الأخرى غير الإسلامية تتوسل بشيء ما للتقرب إلى الله تعالى أو إلى الآلهة التي يعتقدون بها وهذا ما وجدنا في مشركي قريش حيث كانوا يعبدون اللات والعزى ليقربوهم إلى الله زلفى وكما صرح بذلك القرآن الكريم في بعض آياته.

فقد وردت عدة آيات قرآنية تؤكد هذه المسألة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾. (المائدة:٣٥)

حيث كان القرآن موافقًا في هذه المسألة للعقلاء أنفسهم وهذا ما نجده في طلب الناس حوائجهم من الذين هم في موضع القيادة أو المسؤولية فيسألونهم قضاء حوائجهم وهم أما زعيم أو رئيس أو حتى رجل كريم.

وهذا ليس من الشرك في شيء، فهذا مما يساعد عليه العرف العقلائي فنحن عندما نذهب إلى الطبيب نلتمس لديه الشفاء والعلاج وصولًا إلى الصحة والسلامة، وما الطبيب الحقيقي إلا الله تعالى فهل هذا يعتبر شركاً بالله عز وجل؟ ويدل على هذا الأمر ما روي في قصة أبناء يعقوب على لسان القرآن الكريم عندما أدركوا أنهم قد ارتكبوا ذنوباً كثيرة بحق أخيهم يوسف حيث جاءوا أباهم يعقوب قائلين: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾. (يوسف:٩٧)

على أساس أن أباهم هو وسيلة الغفران لهم من قبل رب

العالمين ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ ، وعلى هذا الأساس كان التوسل أمرًا دينيًا قد تعارف عليه الناس منذ أن خلق الله البشرية وقد جاء الإسلام ليؤكد على ضرورة هذا الأمر وذلك من خلال اتخاذ الوسيلة التي نتوسل بها إلى الله تعالى.

ولم نجد من وقف ضد هذا الأمر – أي التوسل – إلا ما أسسه ابن تيمية وتلاميذه في القرن الثامن الهجري، وتلاه في عقائده الباطلة والتي لا تمتلك دليلًا منطقيًا برهانيًا محمد بن عبد الوهاب الذي أسس أضل وأطغى جماعة على الدين الإسلامي ألا وهي الوهابية العمياء فاعتبر التوسل بأولياء الله تعالى من الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين بدعة – تارة – وعبادة للأولياء أنفسهم تارة أخرى.

وقد خالفت الوهابية كل المرتكزات العقلائية في هذا المضمار وخصوصًا نحن نؤمن بأن القرآن الكريم قد أكد على حقيقة اتخاذ الوسيلة وبأشكال متعددة، وليس هذا على ما يدعيه محمد بن الوهاب نوعًا من أنواع الشرك بالله تعالى، والقرآن الكريم نفسه أكد على ضرورة اتخاذ الوسيلة إلى الله تعالى.

والتوسل يكون على قسمين أو صورتين:

أولاً: التوسل بالأولياء أنفسهم، كأن نقول: (اللهم إنّي أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله أن تقضي حاجتي).

ثانياً: التوسل بمنزلة الأولياء وجاههم عند الله تعالى، كأن نقول (اللهم إنّي أتوسل إليك بجاه محمد وحرمته وحقه أن تقضي حاجتي).

أما الوهابية فإنهم يحرمون الصورتين معًا، في حين أن الأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين تشهدان بخلاف ما تدعيه الوهابية وتؤكدان جواز الصورتين معًا.

فقد جاء التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما نصه: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: لَمَّا زَلَّتِ الْخَطِيئَةُ مِنْ آدَمَ عليه السلام وَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَعُوتِبَ وَوُبِّخَ قَالَ: يَا رَبِّ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحْتُ أَتَرُدُّنِي إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ: بَلَى. قَالَ آدَمُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَبِّ حَتَّى أَكُونَ تَائِباً وَتَقْبَلَ تَوْبَتِي فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تُسَبِّحُنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ، وَتَعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِكَ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَتَتَوَسَّلُ إِلَيَّ بِالْفَاضِلِينَ الَّذِينَ عَلَّمْتُكَ أَسْمَاءَهُمْ، وَفَضَّلْتُكَ بِهِمْ عَلَى مَلَائِكَتِي، وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ الطَّيِّبُونَ. فَوَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ: يَا رَبِّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ وَخِيَارِ أَصْحَابِهِ الْمُنْتَجَبِينَ [سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ وَخِيَارِ أَصْحَابِهِ الْمُنْتَجَبِينَ]. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَقَدْ قَبِلْتُ تَوْبَتَكَ».(تفسير الإمام الحسن العسكري:٣٩٢)

ولقد جاء في حديث آخر عن عثمان بن حنيف ليؤكد على هذه الحقيقة حقيقة جواز التوسل بأولياء الله تعالى حيث يقول: إن رجلًا ضريرًا أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: : يا نبي الله ادع الله أن يعافيني فقال صلى الله عليه وآله: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك وإن شئت دعوت لك»، قال: لا بل ادع الله لي؛ فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى اللهم عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى وتشفعني فيه وتشفعه في)، قال: فكان يقول هذا مرارًا، ثم قال بعد أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، قال: ففعل الرجل فبرأ.(الانتصار:٥/٢٥٣)

ويعتبر هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة السند وقد أثبتته كتب العامة قبل الخاصة حتى ابن تيمية نفسه اعتبر ناقل هذا الحديث ثقة.(مسند أحمد:٤/١٣٨)

إنّ هذا الحديث من خلال التأمل الدقيق في ألفاظه يظهر معناه واضحًا جليًا، حيث دل على أن الإنسان له أن يتوسل إلى الله تعالى بالذين جعلهم أدلاء على مرضاته وسبل نجاته ألا وهم الأنبياء وأفضلهم وأحسنهم خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته، والتوسل يكون بحرمتهم وكرامتهم وحقهم على الله تعالى.

أما التوسل بالأنبياء وبحقهم فهذا ما جاء على لسان الحديث المروي في وفاة فاطمة أم أمير المؤمنين حيث يقول الحديث: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي بعد أمي»، ثم دعا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأَبَا أَيُّوب

الأَنْصَارِيِّ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا لَحْدَهَا حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِيَدِهِ وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ وَلَمَّا فَرَغَ اضْطَجَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».(كشف الغمة:١/٦٤)

أما ما ورد في التوسل بالنبي نفسه، فقد روى جمع من المحدثين أن أعرابيًا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لقد أتيناك وما لنا بعير يئط – أي مثل صوت البعير – ولا صبي يغط – وهو صوت النائم – ثم أنشأ يقول:

أتيناك والعذراء تدمى لبانها
وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا
وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يجر رداءه، حتى صعد المنبر فرفع يديه وقال: «اللهم اسقنا غيثًا...»، فما ردَّ النبي حتى ألقت السماء... ثم قال: «لله در أبي طالب لو كان حيًا لقرت عيناه من ينشدنا قوله؟»، فقام علي بن أبي طالب عليهما السلام وقال: «كأنك تريد يا رسول الله – قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أجل» فأنشد علي عليه السلام أبياتًا من القصيدة، والرسول يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة وأنشد يقول:

لك الحمد والحمد ممن شكر
سقينا بوجه النبي المطر

(أمالي المفيد:٣٠٤)

ولنعم ما قال سواد بن قارب في القصيدة التي يتوسل بها بالنبي محمد صلى الله عليه وآله:

وأشهد أن الله لا رب غيره
وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
إلى الله يا بن الأكرمين الأطائب
مرنا بما يأتيك يا خير مرسل
وإن كان فيما فيه شيب الدوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة
بمغض فتيلًا عن سواد بن قارب

(في ضلال التوحيد:٥٢٦)

أما التوسل بأولياء الله تعالى فهذا ما أثبتته الكتب الكثيرة وخاصة الموجودة في كتب العامة حيث ورد في كيفية استسقاء المسلمين بعم النبي العباس واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة، لما اشتد القحط فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض – فقال عمر هذا – والله – الوسيلة إلى الله والمكان منه.

وبعد هذا البيان يظهر لنا أن التوسل بالنبي وأهل بيته عليهم السلام وبالأولياء الصالحين مما جرت به السنة الشريفة فضلًا عن القرآن الكريم نفسه، وعلى هذا الأساس جاء هذا الدعاء المروي عن علمائنا الأفاضل: (اللهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها وبالسر المستودع فيها...) والذي يظهر من خلال استقراء الروايات المأثورة في حق الزهراء أن هذا الدعاء وارد في حق التوسل بالصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام فتارة نجد بعض الأحاديث تبين كيفية التوسل بالزهراء وتارة أخرى تبين كيفية الاستغاثة بالصديقة الشهيدة سلام الله عليها.

فقد ورد عن لسان العلامة المتبحر المجلسي ما نصه: وجدت نسخة قديمة من مؤلفات بعض أصحابنا رضي الله عنهم ما هذا لفظه: هذا الدعاء رواه محمد بن بابويه رحمه الله، عن الأئمة عليهم السلام وقال: ما دعوت في أمر إلا رأيت سرعة الإجابة وهو... (يا فاطمة الزهراء يا بنت محمد، يا قرة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنا توجهنا واستشفعنا، وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجاتنا، يا وجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله...).(بحار الأنوار:٩٩/٢٤٨)

وروي في كيفية التوسل بالزهراء، أن تصلي ركعتين، فإذا سلمت فكبر الله ثلاثًا، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام

واسجد وقل مائة مرة: (يا مولاتي، يا فاطمة أغيثيني)، ثم ضع خدك الأيمن، وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك، ثم خدك الأيسر على الأرض وقل كذلك، ثم عد إلى السجود وقل كذلك مائة مرة وعشر مرات، واذكر حاجتك تقضى.(البلد الأمين:١٥٩)

أما صلاة الاستغاثة بالبتول فهو نفس العمل السابق إضافة إلى ذلك تقول في السجود: (يا آمنًا من كل شيء وكل شيء منك خائف حذر، أسألك بأمنك من كل شيء وخوف كل شيء منك، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تعطيني أمانًا لنفسي وأهلي ومالي وولدي حتى لا أخاف أحدًا ولا أحذر من شيء أبدًا، إنك على كل شيء قدير).

والدعاء الذي ذكر آنفاً يؤكد على مسألة مهمة أخرى وهي حق فاطمة عليها السلام والذي يهمنا في هذا المقام هو معرفة حق فاطمة وما المقصود منه، والذي نراه بعد تتبع بعض روايات أهل البيت عليهم السلام أن حق أهل البيت عظيم وحقوقهم كثيرة، ولكن الأهم من هذا كله هو معرفة الحق الأكبر، والذي عبرت عنه الروايات حق المعرفة، وبعبارة أخرى أهم حق هو معرفة كونهم عليهم السلام مفترضي الطاعة وهذا ما أشارت إليه الكثير من الروايات المروية في المقام.

حيث فسرت حق الأئمة تارة بأنهم حجة الله على الخلق والباب الذي يؤتى منه والمأخوذ عنه، وأنهم مفترضوا الطاعة، وهكذا بالنسبة للأئمة عليهم السلام، أما الصديقة الشهيدة، فحقها كبير على الناس وخصوصا الأنبياء، حيث ورد أنه ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، وكذلك ورد أنها مفترضة الطاعة على جميع البشر وهذا حقها الأكبر على الناس حيث يقول الحديث: ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة، على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير، والوحش، والأنبياء، والملائكة.(عوالم العلوم:١٧٣)

على أنه كلما ثبت من حقوق للأئمة عليهم السلام فهو ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام وخصوصًا نحن نعلم أنه ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا».(أطيب البيان في تفسير القرآن:١٣/٢٢٥)

إذن من خلال هذا الموضوع نفهم أن لحقيقة التوسل بالصديقة الشهيدة عليها السلام لقضاء الحاجات بوجاهتها عند الله دورًا مهمًا في ترسيخ عقيدة الإنسان المؤمن بها حيث بعد قضاء الحاجة على يديها يجد المؤمن إيمانًا راسخًا بها هذا من جهة، وأن حقيقة التوسل بها يضعنا أمام جملة من الحقائق لابد من الوقوف معها والتأمل في مغزاها من جهة أخرى.

وأول هذه الحقائق المنزلة العظيمة والجليلة والفريدة التي كانت تتمتع بها بضعة النبي صلى الله عليه وآله مما جعلها موئلاً لكل مستغيث ومقصدًا لكل طالب حاجة ضاق بحاجته ذرعًا وهو لا يدري باب من يطرق حتى تقضى حاجته وتجاب استغاثته، فإذا بالإمام الصادق عليه السلام يقول لنا: عليكم بالزهراء، استغيثوا باسمها ونادوا مولاتكم فاطمة، وحينئذ تقضى حاجتكم، وتنالون مطلبكم ويكفي في مقام بيان منزلتها أنها كانت المرجع لأبيها حيث كناها النبي صلى الله عليه وآله بأم أبيها، وأنها كانت بضعة منه فمن أغضبها فقد أغضبه صلى الله عليه وآله ويكفي في منزلتها أيضا أنها سيدة نساء أهل الجنة، بل سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وأنها أم الأئمة المعصومين وأنها حليلة سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الحقيقة الثانية التي أثبتتها أحاديث التوسل بالصديقة الشهيدة، هو مسألة الشفاعة، ولما لها من الأهمية الكبرى في حياة الفرد المؤمن، حيث نجد مسألة الشفاعة لها دور كبير في بعث الأمل في روح المذنبين وأن لهم أملًا يظهر خلال الدنيا على نحو التوسل وفي الآخرة على نحو الشفاعة وهذا ما أكده القرآن الكريم في كثير من آياته حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ (طه:١٠٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ:٣٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.(مريم:٨٧)

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يأذن لبعض عباده بأن يشفعوا لغيرهم من الناس فمن أولى من بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بهذه الخصوصية.

بقلم: محمد فاضل المسعودي

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر

ليس من الصحيح أن نفهم (الدعاء) فهماً منفصلاً عن سنن الله تعالى، فإنّ الله تعالى قد سنّ لعباده سنناً في الكون، في شؤونهم وحاجاتهم، ولا يصح للناس أن يهملوا هذه السنن في شؤونهم وحاجاتهم.

وليس الدعاء بديلاً عن هذه السنن، ولا يغني سلوك هذه السنن الإنسان عن الدعاء (أي أنّ سلوك هذه السنن لا يكون بديلاً عن الدعاء).

وفهم هذه النقطة من رقائق الثقافة الربانية في الإسلام، فلا يصح أن يكتفي الفلاّح عن حرث الأرض وسقيها وتشذيب الأرض من الأعشاب الزائدة ورعاية الزرع ومكافحة الأمراض النباتية من مزرعته... بالدعاء.

فإنّ هذا دعاء لا يستجاب وهو مصداق قول الإمام الصادق عليه السلام: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر». (الجعفريات:٢٢٤)

كما لا يستجاب دعاء المريض إذا أهمل الطبيب والدواء، وكيف يستجاب مثل هذا الدعاء وقد أعرض صاحبه عن سنن الله تعالى، فلا يستجاب دعاءٌ إلاّ ضمن السنن الإلهية، فإنّ الذي يستجيب لدعاء عباده هو خالق هذه السنن في الطبيعة، وهو الذي أمر عباده بسلوك هذه السنن وأن يبتغوا رزقهم وحاجاتهم من خلال هذه السنن بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾. (الملك:١٥)

ويقول تعالى: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. (الجمعة:١٠)

وكما لا يكون الدعاء بديلاً عن العمل كذلك لا يكون العمل بديلاً عن الدعاء، فإنّ مفاتيح هذا الكون بيد الله تعالى، والله يرزق عباده بالدعاء ما لا يقدرون عليه بالعمل، ويوفق عباده بالدعاء للأسباب الطبيعية ما لا يقدرون عليه بالعمل.

وليس معنى تمكين الله تعالى للإنسان من الأسباب الطبيعية للرزق أنّ الإنسان يستغني بالتعامل مع الأسباب الطبيعية من الدعاء والسؤال والطلب من الله تعالى.

فإنّ الله تعالى هو الباسط القابض، المعطي المانع، النافع الضار المحيي المهلك، المعزّ المذل، الرافع الواضع، بيده مفاتيح هذا الكون، ولا يمتنع عن أمره، شيء في هذا الكون، ولا يخرج عن أمره وسلطانه شيء، وكل قوة وسلطان ونافع وضار في هذا الكون خاضع لأمره وحكمه وسلطانه، وليس لقوى الطبيعة في هذا الكون الرحيب وجود مستقل عن سلطان الله وإرادته حتى يستغني الإنسان بالتعامل معها عن الدعاء والطلب والسؤال من الله تعالى.

ونحن نسبّح الله وننزهه تعالى عمّا يقول اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، ونقول بما يقول القرآن: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. (المائدة:٦٤)

فنتعامل مع الله في كل حال، ولا نفصل بين التعامل مع الله والتعامل مع السنن التي جعلها الله تعالى وسائل لرزق عباده ونعتقد أنّ هذه القوى والسنن تنفعنا وتضرنا في امتداد إرادة الله تعالى ومشيئته وسلطانه، وليس في عرض إرادته

وسلطانه، ولا مستقلاً عن إرادته تعالى وسلطانه.

ونلمس يد الله تعالى و رحمته و فضله و حكمته في كل صغيرة وكبيرة من أمورنا وشؤوننا، ونلمس إرادة الله وتوفيقه وفضله في مسيرة حياتنا كلها، وفي كل منعطف من منعطفات حياتنا فنحن نحتاجه تعالى في كل لحظة ونفتقر إلى رحمته وفضله ورعايته وتسديده وتوفيقه وهدايته في كل لحظة من لحظات حياتنا، وندعوه تعالى أن يتولى كل أمورنا بالتسديد، والتأييد، والهداية، والتوفيق، ونعوذ بوجهه الكريم من أن يكلّنا إلى أنفسنا طرفة عين، ونسأله تعالى أن يتفرد بكل حاجاتنا وشؤوننا، ولا يحوجنا إلى غيره.

وليس معنى هذا الدعاء أن يعزل الإنسان حاجاته وأموره عن الناس والأسباب الطبيعية في هذا الكون، إذا دعا الله تعالى أن يتفرّد بها... وإنما معنى ذلك أن يدعو الله تعالى ليجعل حاجته إلى غيره تعالى في امتداد حاجته إليه تعالى، وأن يجعل اعتماده على غيره تعالى في امتداد اعتماده عليه تعالى، وأن يجعل تعامله مع غيره تعالى في امتداد تعامله مع الله تعالى، وليس في عرضه، ولا مستقلاً عنه... فكل هذا الكون أسباب مسخّرات لله تعالى، سخّرها لخلقه.

والتعامل مع هذه الأسباب، والأخذ منها، والاعتماد عليها في امتداد التعامل مع الله، والأخذ من الله، والاعتماد على الله ومن صلب التوحيد الذي يدعو إليه القرآن وليس مع الله ولا مستقلاً عن الله.

ومن هذا المنطلق نقول إنّ على الإنسان أن يدعو الله تعالى في كل شيء ويسأله كل شيء، في صغائر أموره وكبارها من ملح عجين خبزه، وعلف دابته، إلى الانتصار على الأعداء في ساحات المواجهة والقتال، ولا يعزل شأناً من شؤون حياته صغيراً أو كبيراً عن هذه الكليّة (كلية الدعاء والسؤال من الله)، ولا يستغني عن الله تعالى في شيء من حاجاته وطلباته بغير الله تعالى من خلقه، ويعوذ بالله تعالى أن يكله إلى نفسه طرفة عين في صغيرة أو كبيرة من صغائر أموره أو كبارها.

وفي نفس الوقت، نعتقد أنّ هذا اللجوء العام إلى الله في كل شيء، والسؤال، والطلب من الله في كل شيء... لا ينافي أن يأخذ الإنسان مما خلق الله تعالى وسخّر له في هذا الكون ويستعين به، فيدعو الله تعالى بالسلامة والشفاء لمرضه، ثم يأخذ بكل ما جعل الله تعالى في الطب من أسباب الشفاء والعلاج وبكل ما جعل الله تعالى في الدواء من أسباب الشفاء.

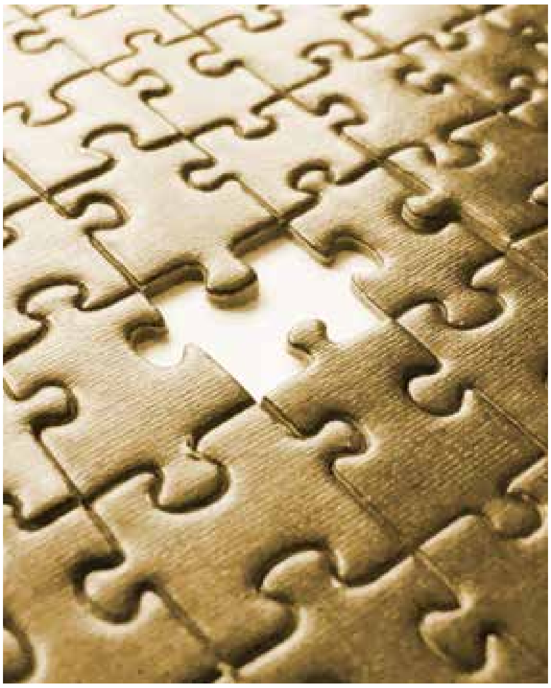

بل نعتقد أنّ الإنسان إذا أخلّ بهذا التوازن فدعا الله تعالى بمعزل عن سنن الله تعالى في هذا الكون لا يستجاب له الدعاء ويكون كالرامي بلا وتر.

بهذا الفهم الدقيق والصافي يثقّفنا الإسلام في التعامل مع الله تعالى ومع سنن الله في هذا الكون.

وبهذا الفهم نجد أنّ نصوص الأدعية زاخرة بالطلب إلى الله تعالى أن يتفرد بأمور عبده جميعاً وأن لا يحوجه إلى غيره، وأن لا يكله إلى نفسه، وأن يصل حبله بحبله تعالى، ويقطعه عن كل شيء يقطعه عن الله.

يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في الدعاء: «ولا تكلني إلى خلقك بل تفرّد بحاجتي، وتولَّ كفايتي، وانظر إليَّ، وانظر لي في جميع أموري».(الصحيفة السجادية:١٠٨)

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام: «اللّهمّ ما أخاف فاكفني، وما أحذر فقني، وفي نفسي وديني فاحرسني، وفي سفري فاحفظني، وفي أهلي ومالي فاخلفني، وفيما رزقتني فبارك لي، وفي نفسي فذلّلني، وفي أعين الناس فعظمني ومن شر الجن والإنس فسلمني، وبذنوبي فلا تفضحني، وبسريرتي فلا تخزني، وبعملي فلا تبتلني، ونعمك فلا تسلبني، وإلى غيرك فلا تكلني».(إقبال الأعمال:١/٣٤٢)

بقلم: الشيخ محمد مهدي

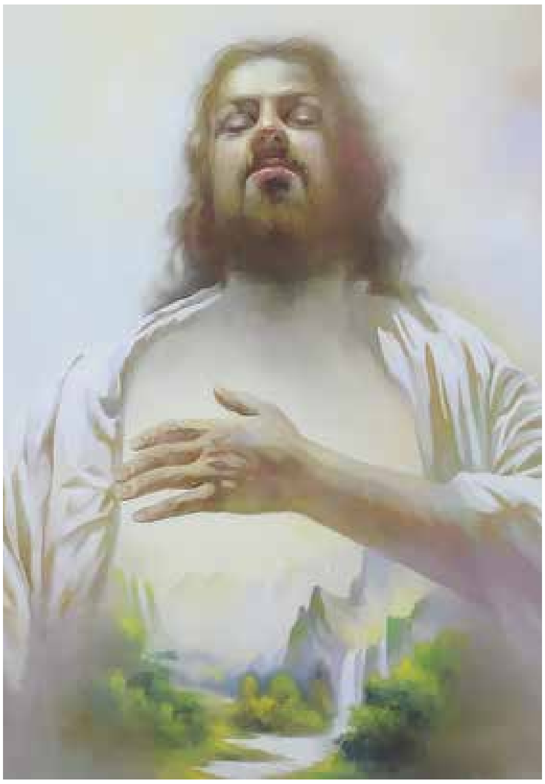

طالب الدنيا وطالب الآخرة

جاء في كتاب الكراجكي: روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً، وَعَوِّدُوا [قُلُوبَكُمُ] الرِّقَّةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ، وَلَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ، تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمُلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ». (كنز الفوائد: ١/ ٣٤٤)

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يوصي على أن نكون في الدنيا كالضيوف، ومن صفات الضيف أنّه لا يبقى في المضيف دائماً بل هو لساعات معدودة أو على الأكثر لأيام.

فيشبّه النبي صلى الله عليه وآله هذه الدنيا الدنيّة بمضيف يكون الإنسان فيها كالضيف وتتم الضيافة لكنّ هذا الإنسان عليه أن يعلم ويعرف أنّ بقاءه في المضيف قليل لأنّه حلّ ضيفاً هنا.

لكن طالب الدنيا فبالعكس تماماً فإنّه ينظر إلى هذه الدنيا كأنها المكان الأبدي له، فلا يعتبر ولا يتعظ ويعمل ويأكل ويتحرك بنحو كأنّ الدنيا بيتٌ بل وكأنه هو صاحب هذه الدنيا.

إنّ الله تعالى جعل هذه الدنيا للمؤمنين كالسجن ولغيرهم كالحرية يفعلون بها ما يشاءون ويأكلون ما لذ وطاب وهم دوماً فرحون في هذه الدنيا، أما بالنسبة للمؤمنين فهذه الدنيا هي كالسجن التي إذا خرج منها كأنّه خرج إلى الحرية وصار خارجاً عن التقيّد وخارجاً عن الالتزام بقوانين السجن من عدم الخروج مما هو فيه.

فقال صلى الله عليه وآله في وصف نوعية المضيف في هذه الدنيا بأنّها يجب أن تكون كالمساجد بالنسبة لطالب الآخرة فيقول صلى الله عليه وآله: «وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتاً».

هذه الدنيا فيها من الأبنية والدور كالمساجد والبيوت والحسينية والدور التجارية وغير ذلك من الأبنية، فإذا أراد هذا الضيف الذي حلّ في هذه الدنيا أن يسكن في إحدى هذه البيوت أو يبني لنفسه بيتاً ليسكن فيه، عليه أنّ يتّخذ هذا البيت كما بيّنه الرسول صلى الله عليه وآله كالمسجد.

ومن خصوصيات المسجد أنّه دارٌ للعبادة وليس مكان اللهو واللعب واللغو وغير ذلك، فهو المكان الذي يخلو فيه العبد مع ربّه ويناجي ربه.

فرسول الله صلى الله عليه وآله شبّه الدار التي يحتاجها الإنسان في هذه الدنيا بالمسجد ليكون العبد دائماً في مناجاة مع ربّه ويرتبط دائماً مع ربّه.

فهـذه الحالة هي ممن يطلب الآخرة ويـترك الدنيا، لأنّ طالب الدنيا يسـعـى أن يرفّه عن نفسـه في هـذه الدنيا وأن يكون فيها سـعيداً بدلاً من أن يكون في شـدّة وتعاسة.

وقـال صلـى الله عليـه وآلـه: «وَعَـوِّدُوا قُلُوبَكُـمُ الرِّقَّـةَ، وَأَكْـثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْبُكَاءَ»، فقد وصف النبي الأكرم صلى الله عليـه وآله خصال تارك الدنيا ممّن يعـوّد قلبه على الرقّة.

إذا تعـوّد القلـب علـى الرقّة سـيكون هناك منفـذٌ جيدٌ للارتبـاط مع الله تعـالى، لأنّ بداية الأمـر للخلوة مع الربّ علـى القلـب أن يكون متوجّهـاً إلى الله تعـالى، فبداية هذا التوجـه هو أن يكون القلـب متهيّأ للارتباط.

إذا بكـى الإنسـان سـيكون قلبـه رقيقاً، فحينمـا يوصي النبـي الأكرم صلى الله عليه وآلـه «وأكثروا التفكّر والبكاء» من أجـل أن يرقّ القلب ثم يناجـي العبد ربّه.

قـال صلى الله عليـه وآلـه: «وَلاَ تَخْتَلِفَـنَّ بِكُـمُ الأَهْوَاءُ»، فمن خصوصيات تارك الدنيا أن لا ينجذب إلى الأهواء بأي شكل من الأشكال.

إنّ هـوى النفسـ الأمارة بالسـوء هي التي تجرّ الإنسـان إلى المهالك والوقوع في الآثام، وهناك اختلافات في الأهواء التي في داخل الإنسان.

إنّ الاختلاف في الأهواء والنفسـ الأمـارة وما تريده من أمور الدنيا يجعل الإنسان كل وقت هو في شأن.

فالنبـي صلـى الله عليه وآلـه يصف تارك الدنيـا بأنّه لا يميل إلى أي شـيء من هوى النفس، النفس الأمارة بالسوء.

وقـال صلى الله عليـه وآله: «تَبْنُونَ مَا لاَ تَسْـكُنُونَ»، وهذا حال طالب الدنيـا، أنّه يبني القصـور والبيوت والعمارات، إلاّ أنّه لن يسـكن فيها أبداً، بل سـيكون بيته التراب، ويكون لباسه قماش أبيض.

طالـب الدنيا يأمـل أن يبني البيـوت والقصـور على أنّه سـيكون في هذه الدنيا دوماً، ولا يعتـبر أنّ ما وصل إليه من غيره سـيكون لغيره منه أيضاً.

فالنبـي يوصّي لـمن أراد أن يكـون طالب الآخـرة وتارك الدنيـا أن لا يبني ما لا يسـكن فيه.

وقـال صلى الله عليه وآلـه: «وَتَجْمَعُونَ مَـا لاَ تَأْكُلُونَ»، إنّ جمع الأشـياء والأموال هي بمنزلة الاسـتفادة منها في هذه الدنيا.

تارة الإنسـان يجمـع الأشـياء والأموال في سـبيل خدمة نفسـه ليعين نفسـه على الارتباط مع الله تعـالى، فهذا من الجيد لكن بشـرطها وشروطها.

أي أن الإنسـان يأخـذ من المأكل والمشـرب والملبسـ وما يحتاجه لتقوية نفسـه علـى التعبد والعبـادة، فهذا مما هو محبّذ عند رسـول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وتارة الإنسـان يجمع الأموال والمأكل والمشـرب لأنه يظن أنّ بقـاءه في الدنيا إلى ما يشـاء، فليسـ هناك آخرة، فهذا ما لم تحبذه الشـريعة الإسلامية والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السـلام.

وقـال صلى الله عليه وآلـه: «وَتَأْمُلُونَ مَـا لاَ تُدْرِكُونَ»، إنّ الأمل بما لا يدركه الإنسـان هو هواء في شبك.

إذا تيقّن الإنسـان أنّ نهاية هذه الدنيـا فناء، فجدير أن لا يتأمل ما لا يدركه، لأنه لا يعلم متى سيموت ومتى سيرحل من هـذه الدنيا إلى البرزخ، ثـم إلى الآخرة.

إنّ مـن يتأمل يعلم بأنّه يبقـى إلى مدّة معيّنة، فيتأمل أنّه قبل أن ينتهي عمره يصل إلى ما يريده.

أمـا الإنسـان الفاني الذي لا يعلم متى يمـوت وبأي أرض يموت فكيف يستطيع التأمل!

فهـذه الخصلـة أيضاً جعلها رسـول الله صلـى الله عليه وآله لطالب الآخـرة دون طالب الدنيا.

مـن كلام أمير المؤمنين صلـوات الله عليه في هذا المعنى أنّه يقول: «مَنْ أَصْبَحَ حَزِيناً عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَ سَـاخِطاً عَلَـى رَبِّهِ تَعَـالَى، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَـا أَكْبَرَ هَمِّهِ طَالَ شَـقَاؤُهُ وَغَمُّهُ، الدُّنْيَا لِمَنْ تَرَكَهَا وَالآخِرَةُ لِمَنْ طَلَبَهَا، الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا كُلَّمَا ازْدَادَتْ لَهُ تَحَلِّياً ازْدَادَ عَنْهَا تَخَلِّياً، إذَا طَلَبْتَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَـا فَـزُوِيَ عَنْـكَ فَاذْكُـرْ مَا خَصَّـكَ اللهُ بِهِ مِـنْ دِينِكَ وَصَرَفَهُ عَنْ غَيْرِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ تَسْـتَحِقَّ نَفْسَـكَ بِمَا فَاتَكَ.». (بحار الأنوار: ٧٠/ ٨١)

ومـن بديـع كلام أمـير المؤمنين عليه السـلام الذي روي عنـه، أنّ رجلًا قطع عليه خطبته وقـال له: صف لنا الدنيا، فقـال عليه السـلام: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا بَـلاَءٌ، فِي حَلاَلِهَا حِسَـابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ صَـحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرِضَ فِيهَـا نَدِمَ، وَمَنِ اسْـتَغْنَى فِيهَـا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَـرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَـعَى لَهَا فَاتَتْـهُ وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَـنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَلْهَتْـهُ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِهَـا نَصَرَتْهُ». (كنز الفوائد: ١/ ٣٤٥)

بقلم: محمد رزاق

فاطمة الزهراء عليها السلام أمّ أبيها

١. امرأة استثنائية

بالقطع واليقين فإن فاطمة الزهراء عليها السلام ليست امرأة عادية، بل هي استثنائية في جوهر تكوينها كما هي استثنائية في موقفها، وجهادها، وعبادتها، وإيمانها، وطاعتها أيضاً.

فقد جرت سنة الله تعالى على أن يخلق من الرجال من هم استثنائيون كالأنبياء، حيث يخلقهم بشكل مختلف كما فعل بالنسبة إلى آدم، وعيسى ابن مريم، أو يتدخل في شؤونهم، ويحافظ على وجودهم مثل موسى بن عمران.

وكما في الرجال كذلك في النساء، فقد اختار الله مريم لتكون سيدة نساء زمانها، فكان رب العباد يطعمها كما يقول القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. (آل عمران:٣٧)

وإذا كان الله تعالى (يتقبّل) مريم وينبتها نباتاً حسناً وهي سيدة نساء زمانها، فكيف بمن أرادها الله تعالى لتكون سيدة نساء العالمين؟

لقد خلق الله فاطمة لتؤدي دوراً إلهياً... وتكون سيدة النساء، وإنموذجاً للمؤمنين والمؤمنات في الحياة الدنيا...

ولولا أن فاطمة (امرأة استثنائية) لما جعل الله رضاه معلقاً على رضا فاطمة، وغضبه كذلك معلقاً على غضب فاطمة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «رضا الله من رضا فاطمة وغضبه من غضبها».

ويقول صلى الله عليه وآله: «من أرضاها فقد أرضى الله، ومن أغضبها فقد أغضب الله».

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «رضا فاطمة من رضا الله، وغضبها من غضبه» لكان أمراً مهماً، حيث كان يعني التزام فاطمة برضا الله...

ولكن النبي صلى الله عليه وآله قال العكس، فعلق رضا الله على رضا فاطمة، وغضب الله على غضبها. فقال: «رضا الله من رضا فاطمة وغضبه من غضبها...».

وكأن الله تعالى (فوّض) إلى فاطمة رضاه كما فوض إلى رسول الله دينه...

وذلك أمر استثنائي... لامرأة استثنائية.

٢. أم النبوة

من الأحاديث النبوية التي أجمع المسلمون على صحتها قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حق فاطمة: «فاطمة أم أبيها».

(تاج المواليد:٧٩)

ترى كيف تكون (البنت) أمّاً لوالدها؟ وماذا تعني هذه الكلمة؟ في تاريخ الإسلام هنالك (أمومة) اعتبارية كان لها أهميتها في حياة المسلمين وهي أمومة نساء النبي صلى الله عليه وآله للمؤمنين، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾. (الأحزاب/٦)

فهي التي كانت تضمّد جراحات رسول الله صلى الله عليه وآله وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّها كانت تلقب بأم أبيها. (الاستيعاب:٣٨٠/٤)

وما ذلك إلا لأنها كانت بمنزلة الأم في حنانها، وعطفها، ورعايتها للرسول الله صلى الله عليه وآله، وسهرها على راحته وسعادته، وكانت تفرح لفرحه، وتحزن لحزنه.

ومن الواضح: أن الأم إنما تتحمل المتاعب، وتصبر على الصعاب في سبيل ولدها، وهي تتمنى حياته.

لقد كانت فاطمة عليها السلام، بمنزلة الأم، لأنها كانت تريد حياته صلى الله عليه وآله، وتريد أن تبقى معه ولا تفارقه، حتى أنّها حينما أخبرها، وهو على فراش الموت: «أنها أول أهل بيته لحوقاً به ضحكت واستبشرت». (مأساة الزهراء:٥٩/١)

وفي تلك الأمومة امتياز لرسول الله وكرامة لنسائه.

إلاّ أن (أمومة) فاطمة لأبيها ليست امتيازاً وكرامة لفاطمة فحسب بل فيها ضمانة لاستقامة الأمة، وميزانٌ لمعرفة الحق من الباطل والخير من الشر.

كما أن (أمومة) فاطمة كانت ميزاناً لأمومة نساء النبي للمؤمنين...

فإذا كنا نرى أن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله تخرج على الإمام علي عليه السلام وهي التي أمرها الله تعالى بأن لا تفعل قائلاً: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. (الأحزاب:٣٣)

ولكن مع ذلك وجدت من يقف معها، ويموت من أجلها لأنها واحدة من أمهات المؤمنين مع أن هذه الأمومة كانت (عامة) بينما أمومة فاطمة خاصة بها دون غيرها.

لقد كان رسول الله يريد بإعلان هذه الأمومة الاعتبارية أن يصون (النبوة) في (الولاية) ويكشف الحق عن الباطل، ويجد الصراط المستقيم عن المتاهة، والخير عن الشرّ.

إن أمومة فاطمة التي تمثلت في موقفها الحازم بعد وفاة رسول الله دفاعاً عن الولاية هي بحق موقف رسول الله لو كان حياً، ومخالفتها كانت مخالفة لرسول الله.

وإذا كان البعض قد استغلّ أمومة نساء النبي صلى الله عليه وآله للمؤمنين، فإن أمومة فاطمة تكشف عن بطلانها.

فأين أم النبي من أمّ المؤمنين؟ وأين فاطمة من بقية النساء؟

٣. فداءً لفاطمة

لا يُفدى الغالي إلا للأغلى...

فحتى في المجاملات فإنك لا تقول لولدك: (فداك أبي) ولكنك تقول لأبيك: (فداك أولادي).

إن المؤمنين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله: (بأبي أنت وأمي) لأن النبي صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي ، قال : حدثنا

عن محمد بن قيس، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها، فأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة عليها السلام مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنت فاطمة عليها السلام أنه إنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت للرسول: قل له صلى الله عليه وآله: «تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: اجعل هذا في سبيل الله»؛ فلما أتاه وخبره، قال صلى الله عليه وآله: «فعلت فداها أبوها – ثلاث مرات – ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقى منها كافرًا شربة ماء ثم قام فدخل عليها». (أمالي الصدوق:٣٠٥)

ومع الأخذ بعين الاعتبار أن النبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فإن لهذه الكلمة تكون ظلالاً بحجم الكون، وثقلاً بحجم الرسالة.

وهكذا... فإن في فاطمة سرّاً عظيماً. لن يكشف لأحد... ألا نقرأ في الدعاء المأثور: «اللهم بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها صلي على محمد وآل محمد بعدد ما أحصاه علمك». (الانتصار:٤٠٨/٧)

بقلم: محمد هادي كاظم

الأمة بين رضا فاطمة وسخطها

إذا نظرنا إلى تاريخ أهل البيت عليهم السلام نرى قضية مهمة تخص فاطمة الزهراء عليها السلام مفادها: أن رضاها وسخطها كفتا ميزان لمعرفة رشد النفوس من ضلالها.

وهذه القضية توجد في كتب الرواية والأحاديث المتواترة عند الفريقين وقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام، وأمين الرسالة، البشير النذير صلى الله عليه وآله.

ولنقدم باقة منها ونجعلها فاتحة تأمل في الشخصية التي تسابقت مع علي عليه السلام في رهان العظمة والسؤدد ذلك السباق الذي كان حق التحكيم فيه لرسول الله صلى الله عليه واله.

رُوِيَ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ الإِمَامَ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِب عليه السلام كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ عليهما السلام يَأْكُلانِ تَمْراً فِي الصَّحْرَاءِ إِذْ تَدَاعَيَا بَيْنَهُمَا بِالْكَلامِ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام يَا فَاطِمَةُ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْك، فَقَالَتْ: وَاعَجَبَا مِنْكَ يُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنِّي وَأَنَا ثَمَرَةُ فُؤَادِهِ وَعُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهِ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ غَيْرِي، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام: يَا فَاطِمَةُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقِينِي فَامْضِي بِنَا إِلَى أَبِيكِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، قَالَ فَمَضَيْنَا إِلَى حَضْرَتِهِ صلى الله عليه وآله فَتَقَدَّمَتْ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنَا أَمْ عَلِيٌّ؟ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَنْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَعَلِيٌّ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْكِ». (الفضائل لابن شاذان: ٨٠)

بعض النصوص الواردة في سيدة النساء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ فَاطِمَةَ شِجْنَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا وَيَسُرُّنِي مَا يَسُرُّهَا». (معاني الأخبار: ٣٠٣، ح١)

وعن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قال: إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ شِجْنَةٌ مِنِّي، يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا». (مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٣٢)

وقد ورد في مُسْلِم وَالْحِلْيَة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا». (مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٣٣)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِنَّ فَاطِمَةَ شَعْرَةٌ مِنِّي فَمَنْ آذَى شَعْرَةً مِنِّي فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ لَعَنَهُ اللهُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ». (بحار الأنوار: ٤٣/٥٤)

عن الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله قَالَ لِفَاطِمَةَ: «يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ، وَيَرْضَى لِرِضَاكِ». (أمالي الصدوق: ٣٨٤)

وقال صاحب طرز الوفا في فضائل آل المصطفى: وإسناده حسن.

وأنت أيها المسلم ما عجبك بحديث يروى عن تسعة وخمسين راويًا، أليس هذا العدد قاهرا للتشكيك، ولا تشكيك طبعًا.

أليس كل هذه الطرق معبرًا للقلب إلى التصديق واليقين بارتفاع قيمة جوهرة

القدس على القيمة ذاتها؟

إذا تصفحنا بعض طرقه ضمن موسوعة بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره، سنشاهد كيف خرجت هذه المعاني الفاطمية فوق أجزاء متفرقة من سطح بحار الأنوار، كما تنتؤ الجزر في مواقع متفرقة من سطح البحر!

وأن نشهد على طرقه عند الأنداد بقراءة الموضع الخاص بترجمتها من كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني.

ما تظن بتعدد اللفظ؟

إن بعض العقول التي لا صبر لها على طول التأمل، ولا قدم ثابتة لها في الدراسة ولا فهم تنهض به في استلام الدلالات البعيدة والقريبة للنص، تحاول التخلص من أسر البحث بتبريرات عابرة و قاصرة.. ومن أبناء هذه الفئة من ربما يتناول حديث المناسبة فيقول في توجيه اختلاف ألفاظه ما قيل في نظرائه أنه: تعدد قوالب، وتنوع كلمات لمعنى واحد، وقصد فارد؟!

ولكنه ظن خائب، وقول غير صائب..

بل إن ثمة حقيقة تتحرك في المتون والصياغات المتعددة لهذه القضية الجليلة، وما تلك الأوصاف والكلمات إلا مواضع خطوات تلك الحركة!

وحتى نقرّب العدسة أكثر فتتضح الصورة.. نقول:

إنّ الفعل الخاطئ الذي تواجه به الصديقة الكبرى من قبل غيرها سيكون له واحد من درجتين حسب الضعف والشدة، وإنه لا محالة سيستدعي ردة فعل موازية ومعاكسة (كما هو القانون) فما تكرهه فاطمة وهو من الدرجة الدانية في القبح هو صاحب العلاقة بقوله صلى الله عليه واله «يغضبها»، وما يكون من الدرجة الشديدة من القبح فله علاقة بقوله: «يسخط لسخطها».

كما أن للفعل الخاطئ الذي يعارض به أسراء الجهل ووجهاء الظلام سيدة نساء هذه الأمة قد تكون له درجتان أيضًا ولكن حسب الظهور والخفاء، فيكون بعد الخطأ الظاهر ردة فعل ظاهرة تصل إلى نسبة الإيذاء «ويؤذيني ما آذاها»، بينما الخطأ الخافي لا تتعد نسبة عائد الفعل وردته عندها الارتياب: «يريبني ما يريبها»!

وقد يكون الفعل من حقيقة أخلاقية صرفة، فالمقارف له لم يتجاوز سوى الحدود الأخلاقية فقط، فهذا وإن كان مخالفة لكنه لن يكون في نفس فاطمة عائد كبير في رتبة الغضب فضلًا عن السخط.. بل إن الفعل الحسن من الأخلاقيات سيسكب على نفسها زلالَ البهجة ويُفتّقُ الأسارير، وهو المساوي لقول من قول الله فيه الصلوات الزاكيات: «ويبسطني ما يبسطها»، بينما ستتفاعل نفسها مع عديم الحسن من الفعال بالانقباض فقط، ويساوي هذا الشطر الآخر من الحديث: «ويقبضني ما يقبضها».

ونستخلص من المجموع أن النبي عليه وعلى آله أفضل التحيات أراد أن يخبر عن أن فاطمة الزهراء سلام الله عليها هي حدقة عينه التي يرى بها حجم ولون ومدى الأفعال مما يخطه الناس على أرض الواقع أفرادًا وجماعات، وأن عائد كل فعل و مردود كل تحرك سيقع في نفسه الشريفة بذات الدرجة التي تقع في نفس فاطمة عليها السلام.

تنهدات مشفقة

إن أسلوب النبي الخاتم عليه صلوات العالم، جاء لافتًا من حيث إنّه لم يكف عن اقتحام مسامع أمته بهذا الحديث، فكان مستمرًا في تكراره و في الأوان المتباعدة، وهذا ما يثير الفضول العلمي، فالعاقل الذي يراقب أحداث تلك الحقبة لا يمكن أن يستقر به حال قبل أن يكشف عما لهذه الوظيفة النبوية المؤقتة من أسرار!!

فالواقع جدير بأن يُرسم حوله علامة استفهام كبيرة، ولن يكون استفهامًا منقطعًا عن الجواب.. بل هو استفهام يجد جوابه حاضرًا!

وهو: أنه صلى الله عليه وآله عالج العقول من حوله لتفهم أن فاطمة شأن من شؤون الغيب التي لا تصاب بالعقول المحضة.. لأن اتباع الموقف بالموقف، وإرداف الكلمة بالكلمة، وتبديل الوصف مكان الوصف، - كما ورد في النصوص السابقة - له مفهوم التزامي ومدلول ثانٍ وهو أن هذا الموصوف - أي الزهراء عليها السلام - ليس مما تلحظه كل العيون، أو تبلغ حقيقته الظنون الصرفة.

إذن.. فهذا التمرير والتكرير للقضية الواحدة ذو هدف وذو موضوع!

ثمرة العصمة

لقد أدى النبي ونصح حتى رعى عقولًا لا تزال في طور النشوء إذ كانت تعيش في أرض بايعت الأمية والجاهلية بيعةً مؤبدةً فجاء محمد النور صلى الله عليه وآله ليحل هذه البيعة من أعناقهم، ويحملهم إلى الجنة على أقتاب التزكية والعلم ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾. (آل عمران:١٦٤)

فكان منه أفضل الأساليب وأشفعُها في الهدف، حيث الغزو لعقولهم ونفوسهم برفق ولطف ومن طرق تسامحه معهم أنه لم يعبدهم بأسماء الحقائق وألفاظها فطالما تجنب العناوين مما يغص به مساغ العقول!

فلم يطلق صوته باسم العصمة في حق عترته الماجدة، لا ولا فاطمةَ عليها السلام، إلا ما كان يخرج منه همسًا في آذان خلص أصحابه الموفون بعهدهم لعلي عليه السلام كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار، ومن قفى أثرهم...

والعذر في ذلك أنه شيء لا تستسهله القلوب.. بل هو من الأمور التي يحتاج

التصريح بها إلى حصانة أو عاصم ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾. (المائدة:٦٧)

لأن فضح هذه الأمور على الملأ توغر صدر الحاسد وترج شيطان الحاقد، وسيكون أول الفلتان رمي السادة الأمناء بكل شين ومين رغبة في تكذيب أقواله فيهم؟!

ولا غرو فكم ألصقوا من الذم بدرته الطاهرة فاطمة، وبنجم أفق الرسالة الخالدة وصيه وبقيته فيهم علي بن أبي طالب عليهما السلام.. أم كم ذم كان طائرًا وسائرًا في الناس لمبالغة الرسول صلى الله عليه واله فيه وهويبين طرد هذا وذاك ممن استحق الطرد وقتئذ.. ولكن قد أشركت فيه الأقلام والألسن من بعدُ فصار الطريد يتعبدها بوضع الأحاديث والمدائح في نزاهته وقربه من رسول الله لتذهب الحقيقة أيدي سبأ؟!

فلهذا السبب تعيينًا اتخذ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الطبع الهادئ لجلوسه في هذه الزاوية من الرسالة فلم يتعامل مع هذه الأسرار الثمينة ببيع الجملة، ولكن تراه يفرق الحقيقة على المناسبات، ويقسطها على الأيام، فكان أن ذرّ لقاحَها في الهواء ليحمله إلى القلوب النجيبة والخالصة من كل شوب..

وقد نرى أن الهواء يحمل من اللقاح الطيب الكثير ثم يعصف بكل أنواع الشجر، ولكن لا تستجيب له سوى النخلة التي هي أكرم أنواع الشجر فتجازي رسل الهواء واللقاح بأكمام الثمر..

فكانت التجزئة في الطرح والكناية في الإشارة عونًا وفيًا له في الأمر الذي أراده صلى الله عليه وآله..

فإذا قال في حق أسرته وحامّته فإن أقصى القول عنده: «قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: «فَاطِمَةُ قَلْبِي وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَبَعْلُهَا نُورُ بَصَرِي وَالأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِهَا أُمَنَائِي وَحَبْلُهَا الْمَمْدُودُ فَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ هَوَى».(الفضائل لابن شاذان:١٤٧)

وإذا مال بلسانه إلى أهل بيته فلا يزيد على أن يجعلهم أماناً لهذه الأمة، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: النُّجُومُ أَمَانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لأُمَّتِي».(صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٥٥)

وإذا نصح بمشايعتهم، ومتابعتهم لم ينتخب كلمة سوى: «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».(كتاب سليم بن قيس:٦١٦)

وإذا تصدق على ظامئ بشيء من

دلائهم الروية قال: «فَلَا تُقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تُعَلِّمُوهُمَا فَإِنَّهُمَا أَعْلَمُ مِنْكُم».(إثبات الهداة:٢/٣٢٠)

وهلم سقيًا!!

وإن هذا التألف للعقول والنفوس المتعاصة هو استرشاد بكتاب الله العظيم الذي جزأ حقيقة عصمة النبي وقدمها على صفقات للعقل العربي الجاف آنذاك، فلم يكشف الغطاء عن عصمة النبي ولم ينر الشبهة فيها دفعة واحدة ولكن ابتدا بالإشارة يقول تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾. (النجم:٣-٤)

ثم يقف في مقطع زمني آخر ويعطيه ما يلائمه من التوضيح الذي لا يصل إلى التصريح وإن كان أبلغ منه فأنزل سبحانه: ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾. (الحشر:٧)

وستجد نفس الشكل في نصحه للمؤمنين من حول الرسول صلى الله عليه واله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... ﴾. (التغابن:١٢)

مع أن كلنا يظن بادئ بدء أن التصريح بالعصمة بالاسم أقرب للحسم وأنه طريق مختصر وسريع في نقل غذاء الوحي إلى محطات القلوب، ولكنها صراحة لو جرى اللسان بها لاستمع إليه بعضهم وعلى قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا..

وبعد كل ما فتحنا سمعنا عليه من الكلام السابق نستطيع أن نقف على السؤال اللحوح على تفكيرنا:

لِمَ لَمْ يصرح الكتاب العزيز بالعصمة ليكفي المؤمنين شر الضلال؟

ونعطيه - بموجب التمهيد السابق - تقديراً ضعيفاً؟!

بل يجعلنا أقدر على مناقشة بأنه لو استجاب القرآن أو النبي العدنان لهذا التصور لتردى الكثير في أعماق الضلال؟!

إذن فالنبي الأشفع صلى الله عليه وآله لم يتخل - كما القرآن - عن خطة التحدّر والتدرج..

على أن فاطمة عليها السلام الراضية المرضية لما رأت التحدي لعصمتها والطعن في ملكتها النفسية التي طالما كان يذود عنها النبي صلى الله عليه وآله وقفت لتجلي الأمر وجردت الحقيقة عندما استبدلت الإشارة بالعبارة: «اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْواً، وَ لا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً».(الاحتجاج:١/١٠٠)

بقلم: الشيخ عبد الجليل محمد

التسمية باسـم (فاطمة)

لقد قدس السادة الأطايب العلاقة بين مشاعر الرسول وبضعته البتول، والتي تعني – كما فهمنا – التوافق في الاستقبال فلا يكون من الرضا أو البهجة نصيب لقلب أحدهما مع عزل الآخر.. كما لا يجوز بحال أن يلتاع أحدهما بحزن أو ألم ويعفى عنه الآخر.

لذا فإن سلالة المحامد والمعالي عليهم السلام قد أكرموا هذه العقيدة التي ألقى مرساتها الرسول صلى الله عليه واله وفعّلوها تطبيقًا من بعد نظرية..

فتراهم وسعوا لها مجالس الفقه ونسجوا للناس منها الأحكام والأعلام..

فإنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يحثّون أصحابهم وشيعتهم بتسمية بناتهم باسم (فاطمة)، فخير شاهد على ذلك ما روي في الكافي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «لا يَدْخُلُ الْفَقْرُ بَيْتاً فيه اسْمُ مُحَمَّدٍ أَوْ أَحْمَدَ أَوْ عَلِيٍّ أَوِ الْحَسَنِ أَوِ الْحُسَيْنِ أَوْ جَعْفَرٍ أَوْ طَالِبٍ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ فَاطِمَةَ مِنَ النِّسَاءِ».(الكافي:١٩/٦،ح٨)

ومما أدّب الإمام الصادق عليه أصحابه قوله للسكوني في رواية عن عَلِيِّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُمْهُورٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ فَقَالَ لِي: «يَا سَكُونِيُّ مِمَّا غَمُّكَ؟»، قُلْتُ: وُلِدَتْ لِي ابْنَةٌ، فَقَالَ عليه السلام: «يَا سَكُونِيُّ عَلَى الأَرْضِ ثِقْلُهَا وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجَلِكَ وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ»، فَسَرَّى وَاللَّهِ عَنِّي، فَقَالَ عليه السلام لِي: «مَا سَمَّيْتَهَا؟»، قُلْتُ: فَاطِمَةَ، قَالَ عليه السلام: «آهٍ آهٍ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ إِذَا كَانَ ذَكَراً أَنْ يَسْتَفْرِهَ أُمَّهُ وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ كِتَابَ اللَّهِ وَيُطَهِّرَهُ وَيُعَلِّمَهُ السِّبَاحَةَ وَإِذَا كَانَتْ أُنْثَى أَنْ يَسْتَفْرِهَ أُمَّهَا وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهَا وَيُعَلِّمَهَا سُورَةَ النُّورِ وَلا يُعَلِّمَهَا سُورَةَ يُوسُفَ وَلا يُنْزِلَهَا الْغُرَفَ وَيُعَجِّلَ سَرَاحَهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، أَمَّا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلا تَسُبَّهَا وَلا تَلْعَنْهَا وَلا تَضْرِبْهَا». (الكافي:٦/٤٨)

وأما عن فقهائنا فإن من لم يخضع لدلالة الحرمة منهم قد سلم بالكراهة ولم يحاور فيها فتراه مسلماً بها أبدًا معللًا ذلك باحتمال تطرق الأذى لقلب فاطمة عليها السلام.

أعجب ما في المطاف

ولقد جال دوي هذا الشعار الكريم – رضا فاطمة وسخط فاطمة – ولم يستطع الزمن أن يراهن على انقطاعه، واعترفت له أيادي الجور والتحريف بفشل كل المخادعات التي اهتمت بقطع الشعور بين نفوس الناس ونفس بضعة المصطفى، بل إن تحسس رضاها تجاوز المؤالف إلى المخالف لها سلام الله عليها فتراه يغلب على نفوسهم أحايينا من الوقت فيلينون معه وإن تلاشى عن قلوبهم في أحايين أخرى؛ لأن الحق قد تنشق له قلوب خصومه عنوة وقهرًا، فتنهزم أمامه سرائرهم الملوثة، وإن كانت غلبة لا تدوم ونصرًا لا يطول، ولهذا أنت تشاهد المفارقات الكثيرة التي قد تفوق الخيال في حياة المخالفين لأهل البيت عليهم السلام وسنتعرف هنا على لمة من الحكايات التاريخية التي يسمع فيها صدى «فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها».

بقلم: جعفر محمد عباس

علم الأئمة عليهم السلام باستشهادهم

لطالما طرقت أسماعَنا ونحن نجلس في مجالس ذكر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه عباراتٍ من الخطباء وأرباب المنابر، تتضمّن ما يوحي أنّ الحسين عليه السلام خرج إلى كربلاء بتخطيط سياسي، فقد رأى أو ارتأى أنّ صلاح الأُمة وإصلاحها ينحصران في سفك دمه المقدس الطاهر في كربلاء، فوجد الفرصة المناسبة لخروجه من أجل طلب هذا الإصلاح في أُمة جده صلّى الله عليه وآله، وذلك بنظرة ثاقبة وتخطيط عسكري مُسبَق.

ولا تخلو الكثير من الكتابات عن هذا النهج، إذ إنّها ترى في الحسين عليه السلام قائداً عسكرياً محنّكاً، كان تخطيطه وفق تصوّرات خاصة بعيدة عن الرسم الإلهي، فقد رسم نهجاً جديداً للقيام ضدّ الظلم والفساد، فجعل من دمه الزاكي الذي أُريق في كربلاء نهجاً تسير عليه الأُمم والشعوب المضطهدة.

كلُّ هذا ينطلق من تعامل البعض مع الذوات المقدسة لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم كشخصياتٍ إسلاميةٍ فذّة، عاشت في حقبةٍ من الزمن، فكانت فيها من العبقرية والذكاء والحنكة ما تفوقت بها على أقرانها، فناضلوا من أجل مبادئهم، وفكّروا وخططوا حتى بلغوا مُنيتهم، ولا يجد السامعُ أو القارئ للوهلة الأُولى كلاماً غريباً في هذا، لاسيّما بعد أن تعوّد سمعُه على ذلك.

وللوقوف بشكلٍ أعمق على هذا الكلام، يجب علينا أن نقدّم مقدمة في علم الإمام، لنعرف أن عبارات من قبيل (رأى) أو (ارتأى) ونِسْبتَها إلى الإمام المعصوم، لا تنمّ عن معرفة قائلها بعلمهم صلوات الله عليهم، وما خصّهم

اللّه تعالى به من عظيم المنزلة، وما أُطلعهم عليه من الغيوب الغائبة عنّا.

لقد أعطى اللّه تعالى لأهل البيت عليهم السلام تلك المقامات السامية، فجعلهم طاهرين مطهَّرين، أئمّة وحججاً على الخلق لهم راشدين، معصومين من كلِّ عيبٍ ودنس، عالمين بكلِّ ما كان وما يكون، فلا يغيب عنهم علمُ شيء ولا يخفى عنهم أمر، فهم يعلمون ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجنة وما في النار، كلُّ ذلك من كتاب اللّه عزّ وجل الذي فيه تبيان كلّ شيء.

ورد عن الكليني في أصول الكافي باب أن الأئمة صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء عدة أحاديث تنص على أنّ أهل البيت ورثوا من جدهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم علم ما كان وما يكون وهو كائن حتى تقوم الساعة.

فعن أَحْمَد بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّد بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ حَمَّادٍ عَنْ سَيْفٍ التَّمَّارِ قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً مِنَ الشِّيعَةِ فِي الْحِجْرِ فَقَالَ عليه السلام: «عَلَيْنَا عَيْنٌ»، فَالْتَفَتْنَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ نَرَ أَحَداً فَقُلْنَا: لَيْسَ عَلَيْنَا عَيْنٌ، فَقَالَ عليه السلام: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَرَبِّ الْبَنِيَّةِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرِ لَأَخْبَرْتُهُمَا أَنِّي أَعْلَمُ مِنْهُمَا وَلَأَنْبَأْتُهُمَا بِمَا لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمَا لِأَنَّ مُوسَى وَالْخَضِرَ عليهما السلام أُعْطِيَا عِلْمَ مَا كَانَ وَلَمْ يُعْطَيَا عِلْمَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَقَدْ وَرِثْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم وِرَاثَةً». (أصول الكافي: ١/٢٦١، ح١)

الرواية واضحة وصريحة بأنّ علم موسى والخضر على نبينا وآله وعليهما السلام كان محدوداً بدليل أنّ الإمام الصادق عليه السلام يبيّن أنّ علمهما كان حصراً في الأمور الكائنة الذي ما هو كان بالماضي أو بالحال، وليس بالأمور التي ستقع أو بما يكون.

أما علم الإمام المعصوم عليه السلام الذي ورثه من النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلم هو ليس فقط بما كان من الأولين بل شامل بعلم ما يكون وما هو كائن

علمُ الإمام عليه السلام بما كان وما يكون

إنّ الإمـام المعصوم عليه السلام يعلم بأحوال الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

فعَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ عَبْدُ الْأَعْلَى وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بِشْرٍ الْخَثْعَمِيُّ سَمِعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ وَأَعْلَمُ مَا فِي النَّارِ وَأَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ»، قَالَ: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ فَقَالَ عليه السلام: «عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ».

وقال اللّه تبارك وتعالى في كتابه الكريم إنّ القرآن فيه تبيانٌ لكل شيء وفيه علم ما كان وما يكون وفي أحوال السابقين وأخبارهم بقوله: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾. (النحل:٨٩)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾. (آل عمران/٤٤)

إنّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء كما قال تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾، فهنا يرد السؤال التالي:

مَن لديه تأويل الآيات النازلة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم حيث يمكن أن يستخرج التبيان والتوضيح للآيات الشريفة في القرآن الكريم وبيان أحوال السابقين واللاحقين وما كان وما يكون عن كتاب اللّه العزيز؟

الجواب: قال اللّه عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (آل عمران/٧)

ورد بالتواتر في أحاديث الفريقين أنّ الراسخين في

العلم هم آل محمد عليهم السلام، أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، ولديهم علم الكتاب وعلم ما كان وما يكون.

فعن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء:٨٥) قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام وهو من الملكوت». (المحاسن:٢/٣١٥)

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾، يقول: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى وهو مع الأئمة يسددهم وليس كلما طلب وجد». (بصائر الدرجات:١/٤٦١)

ويمكن أن يكون ذلك عقولهم المقدسة التي كانت أعظم من الملائكة المقربين، والظاهر أن ذلك بعنوان التذكير لأن الأخبار متواترة بأنه كان عندهم علم القرآن وفيه علم ما كان وما يكون إلى يوم القيمة وكان عندهم الجفر ومصحف فاطمة عليها السلام وغيرهما.

كما رواه الكليني وغيره في الصحيح عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة ، هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثمَّ قال عليه السلام: «يا أبا محمد سل عما بدا لك»، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علّم عليًا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب قال: فقال عليه السلام: «يا أبا محمد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هنا والله العلم قال: فنكت ساعة في الأرض ثمَّ قال: إنه لعلم وما هو بذلك.

قال: ثمَّ قال عليه السلام: «يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟»، قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال عليه السلام: «صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه، من فلق فيه وخط علي عليه السلام بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش»، فضرب بيده إليّ فقال لي: «تأذن يا أبا محمد؟»، قال: قلت له: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت قال: فغمزني بيده وقال: «حتى أرش هذا كأنه مغضب»، قال: قلت: هذا والله العلم قال عليه السلام: «إنه لعلم وليس بذاك».

ثمَّ سكت ساعة ثمَّ قال: «وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟»، قال: قلت: وما الجفر؟، قال عليه السلام: «وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: «إنه لعلم وليس بذاك».

ثمَّ سكت ساعة، ثمَّ قال: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام»، قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: «إنه لعلم، وما هو بذاك».

ثمَّ سكت ساعة، ثمَّ قال: «إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم؟ قال عليه السلام: «إنه لعلم وما هو بذاك»، قال: قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم؟ قال عليه السلام: «ما يحدث بالليل والنهار الأمر من بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيمة». (الكافي:١/٢٤٠)

وفي الصحيح، عن أبي عبيدة قال سأل: أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: «هو جلد ثور مملوء علمًا»، قال له: فالجامعة؟ قال عليه السلام: «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعًا في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش»، قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟، قال: فسكت طويلًا، ثمَّ قال عليه

السلام: «إنكم لتبحثون عما تريدون، وعما لا تريدون، إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يومًا وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه صلى الله عليه وآله ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام».(بصائر الدرجات:١/١٥٣)

علمُ الأئمّة عليهم السلام باستشهادهم

لا أودّ الاقتصار هنا على علم الإمام العام المجمل، بل لنا أن نتوسّع في علم الإمام حتى في ساعة شهادته وكيفيّتها وأين، وهذا ما نراه في سيرتهم صلوات الله عليهم وإخبارهم بوفَياتهم.

لقد عَرف أميرُ المؤمنين عليه السلام قاتلَه والليلةَ التي يُقتل فيها والموضع الّذي يُقتل فيه، فقال لمّا سمع صياح الإوزّ: «صوائح، تتبعها نوائح». (الكافي:١/٢٥٩، ح٤)

وقد أخبر الإمام الكاظم عليه السلام شيعته وهو في سجن هارون العباسي بقرب حلول أجله، وأنه قد سُقي السمَّ في سبع تمرات وسيموت بعد غد. (الكافي:١/٢٥٨،ح٢)

ويمكن مراجعة ذلك في باب (أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارٍ منهم في كتابي الكافي الشريف الجزء الأول وبحار الأنوار الجزء السابع والعشرون).

وبمقتضى كونهم أئمة للعباد وحججاً على الخلق، يلزم من ذلك علمهم بكلّ شيء، فقد كان المفضّل يوماً عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال له: جُعلت فداك، يفرض اللّه طاعةَ عبدٍ على العباد ويحجب عنه خبرَ السماء؟ قال عليه السلام: «لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد، ثمّ يحجبُ عنه خبرَ السماء صباحاً ومساءً». (الكافي:١/٢٦١،ح٣)

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «عجبتُ من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فيُنقصونا حقّنا، ويعيبون ذلك على مَن أعطاه اللّه برهانَ حقِّ معرفتنا والتسليم لأمرنا؛ أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعةَ أوليائه على عباده، ثمّ يُخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يَرِد عليهم ممّا فيه قِوامُ دِينهم؟!». (الكافي:١/٢٦١،ح٤)

فمما تقدم يتبيّن لنا أنّ الإمام المعصوم من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جعله الله خليفته في أرضه وعلى عباده لديه علم ما كان من أحوال السابقين وأمورهم وتاريخهم وسيرهم، وعلم ما يكون في أمور دنياهم وأخراهم وذلك إلى يوم القيامة حتى تقوم الساعة.

ومن ذلك أنّ الإمام المعصوم عليه السلام لديه العلم الكامل بساعة استشهاده، وأيضًا يعلم بالقاتل الذي يقتله وكذلك كيفية قتله، وهناك أيضاً خاصيّة للإمام المعصوم عليه السلام أنّ لديه الاختيار في استشهاده، لكن الإمام عليه السلام أمره من أمر الله، ورد ذلك في الأحاديث المتواترة والمستفيضة.

فعن جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «يَا مُفَضَّلُ إِنَّ الله خَلَقَنَا مِنْ نُورِهِ وَخَلَقَ شِيعَتَنَا مِنَّا وَسَائِرُ الْخَلْقِ فِي النَّارِ بِنَا يُطَاعُ الله وَبِنَا يُعْصَى الله يَا مُفَضَّلُ سَبَقَتْ عَزِيمَةٌ مِنَ الله أَنْ لا يَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِنَا وَلاَ يُعَذِّبَ أَحَداً إِلاَّ بِنَا، فَنَحْنُ بَابُ الله وَحُجَّتُهُ وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَخُزَّانُهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَحَلاَلُنَا عَنِ الله وَحَرَامُنَا عَنِ الله، لا يُحْتَجَبُ عَنِ الله، إِذَا شِئْنَا فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ اسْتِثْنَاءً وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ جَعَلَ قَلْبَ وَلِيِّهِ وَكْرَ الإِرَادَةِ﴾ فَإِذَا شَاءَ الله شِئْنَا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ».(تفسير فرات الكوفي:٥٢٩)

فمشيئة الإمام عليه السلام مرتبطة بمشيئة الله، فإرادة الإمام عليه السلام هي إرادة الله، وهو يعلم بمشيئة الله تعالى وبإرادته، لأنه إذا شاء يعلم أنّ مشيئته هي مشيئة الله تعالى.

بقلم: محمد الكاظمي

معنى ألفاظ الأذان

عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام قال: «كنا جلوسًا في المسجد، إذ صعد المؤذن المنارة، فقال: (الله أكبر الله أكبر) فبكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبكينا ببكائه.

فلما فرغ المؤذن قال: أتدرون ما يقول المؤذن؟ قلنا: الله ورسوله ووصيه أعلم، فقال: لو تعلمون ما يقول: لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فلقوله: الله أكبر معان كثيرة منها أن قول المؤذن (الله أكبر) يقع على قدمه وأزليته وأبديته وعلمه وقوته وقدرته وحلمه وكرمه وجوده وعطائه وكبريائه، فإذا قال المؤذن: (الله أكبر) فإنه يقول: الله الذي له الخلق والأمر، وبمشيته كان الخلق، ومنه كان كل شيء للخلق، وإليه يرجع الخلق، وهو الأول قبل كل شيء لم يزل، والآخر بعد كل شيء لا يزال، والظاهر فوق كل شيء لا يدرك، والباطن دون كل شيء لا يحد، فهو الباقي وكل شيء دونه فان.

والمعنى الثاني (الله أكبر) أي العليم الخبير، علم ما كان وما يكون، قبل أن يكون.

والثالث (الله أكبر) أي القادر على كل شيء يقدر على ما يشاء القوي لقدرته المقتدر على خلقه، القوي لذاته، وقدرته قائمة على الأشياء كلها إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

والرابع (الله أكبر) على معنى حلمه وكرمه، يحلم كأنه لا يعلم، ويصفح كأنه لا يرى، ويستر كأنه لا يعصى، لا يعجل بالعقوبة كرماً وصفحاً وحلماً.

والوجه الآخر في معنى (الله أكبر) أي الجواد جزيل العطاء كريم الفعال، والوجه الآخر (الله أكبر) فيه نفي كيفيته كأنه يقول: الله أجل من أن يدرك الواصفون قدر صفته الذي هو موصوف به، وإنما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علواً كبيراً.

والوجه الآخر (الله أكبر) كأنه يقول الله أعلى وأجل، وهو الغني عن عباده لا حاجة به إلى أعمال خلقه.

وأما قوله: (أشهد أن لا إله إلا الله) فإعلام بأن الشهادة لا تجوز إلا بمعرفة من القلب كأنه يقول أعلم أنه لا معبود إلا الله عز وجل، وأن كل معبود باطل سوى الله عز وجل، وأقر بلساني بما في قلبي من العلم بأنه لا إله إلا الله، وأشهد أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا منجا من شر كل ذي شر وفتنة كل ذي فتنة إلا بالله.

وفي المرة الثانية (أشهد أن لا إله إلا الله) معناه أشهد أن لا هادي إلا الله، ولا دليل إلا الله، وأشهد الله بأني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد سكان السماوات وسكان الأرض وما فيهن من الملائكة والناس أجمعين، وما فيهن من الجبال والأشجار والدواب والوحوش وكل رطب ويابس بأني أشهد أن لا خالق إلا الله، ولا رازق ولا معبود، ولا ضار ولا نافع، ولا قابض ولا باسط، ولا معطي ولا مانع، ولا دافع ولا ناصح، ولا كافي ولا شافي، ولا مقدم ولا مؤخر إلا الله، له الخلق والأمر وبيده الخير كله تبارك الله رب العالمين.

وأما قوله: (أشهد أن محمداً رسول الله) يقول أُشهد الله أني أشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمداً عبده ورسوله ونبيه وصفيه ونجيبه أرسله إلى كافة الناس أجمعين بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأُشهد من في السماوات والأرض من النبيين والمرسلين والملائكة والناس أجمعين أني أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأولين والآخرين.

وفي المرة الثانية (أشهد أن محمداً رسول الله) يقول: أشهد أن لا حاجة لأحد إلى أحد إلا إلى الله الواحد القهار الغني عن عباده والخلايق أجمعين، وأنه أرسل محمداً إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فمن أنكره، وجحده ولم يؤمن به أدخله الله عز وجل نار جهنم خالداً مخلداً لا ينفك عنها أبداً.

وأما قوله: (حي على الصلاة) أي هلموا إلى خير أعمالكم، ودعوة ربكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وإطفاء ناركم التي أوقدتموها على ظهوركم، وفكاك رقابكم التي رهنتموها بذنوبكم، ليكفر الله عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم ذنوبكم ويبدل سيئاتكم حسنات، فإنه ملك كريم، ذو الفضل العظيم، وقد أذن لنا معاشر المسلمين بالدخول في خدمته، والتقدم إلى بين يديه.

وفي المرة الثانية (حي على الصلاة) أي قوموا إلى مناجاة ربكم وعرض حاجاتكم على ربكم، وتوسلوا إليه بكلامه وتشفعوا به وأكثروا الذكر والقنوت والركوع والسجود والخضوع والخشوع، وارفعوا إليه حوائجكم فقد أذن لنا في ذلك.

وأما قوله: (حي على الفلاح) فإنه يقول: أقبلوا إلى بقاء لا فناء معه، ونجاة لا هلاك معها، وتعالوا إلى حياة لا ممات معها، وإلى نعيم لا نفاد له، وإلى ملك لا زوال عنه، وإلى سرور لا حزن معه وإلى أُنس لا وحشة معه، وإلى نور لا ظلمة معه وإلى سعة لا ضيق معها، وإلى بهجة لا انقطاع لها، وإلى غنى لا فاقة معه، وإلى صحة لا سقم معها، وإلى عز لا ذل معه، وإلى قوة لا ضعف معها، وإلى كرامة يا لها من كرامة، وأعجلوا إلى سرور الدنيا والعقبى، ونجاة الآخرة والأولى.

وفي المرة الثانية (حي على الفلاح) فإنه يقول: سابقوا إلى ما دعوتكم إليه وإلى جزيل الكرامة، وعظيم المنة، وسني النعمة، والفوز العظيم، ونعيم الأبد في جوار محمد صلى الله عليه وآله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأما قوله: (الله أكبر) فإنه يقول الله أعلى وأجل من أن يعلم أحد من خلقه ما عنده من الكرامة لعبد أجابه وأطاعه وأطاع أمره، وعرفه وعبده، واشتغل به وبذكره وأحبه وأنس به، واطمأن إليه ووثق به، وخافه ورجاه واشتاق إليه ووافقه في حكمه وقضائه ورضي به.

وفي المرة الثانية (الله أكبر) فإنه يقول: الله أكبر وأعلى وأجل من أن يعلم أحد مبلغ كراماته لأوليائه، وعقوبته لأعدائه، ومبلغ عفوه وغفرانه ونعمته لمن أجابه وأجاب رسوله، ومبلغ عذابه ونكاله وهوانه لمن أنكره وجحده.

وأما قوله: (لا إله إلا الله) معناه لله الحجة البالغة عليهم بالرسول والرسالة والبيان والدعوة، وهو أجل من أن يكون لاحد منهم عليه حجة، فمن أجابه فله النور والكرامة، ومن أنكره فإنّ الله غني عن العالمين، وهو أسرع الحاسبين.

ومعنى (قد قامت الصلاة) في الإقامة أي حان وقت الزيارة والمناجاة، وقضاء الحوائج، ودرك المنى والوصول إلى الله عز وجل وإلى كرامته وغفرانه وعفوه ورضوانه». (التوحيد:٢٣٨-٢٤١)

قال الصدوق رحمه الله إنما ترك الراوي ذكر (حي على خير العمل) للتقية: وقد روي في خبر آخر أن الصادق عليه السلام سئل عن معنى (حي على خير العمل) فقال: «خير العمل الولاية»، وفي خبر آخر: «خير العمل بر فاطمة وولدها عليهم السلام». (بحار الأنوار:١٣٤/٨١)

وتفسير التكبير في الخبر إشعار بتربيع التكبير في أول الأذان، وإن لم يكن صريحاً، وما ذكر من المعاني كلها داخلة في معنى الكبرياء والأكبرية، ويرجع بعضها إلى كبرياء الذات، وبعضها إلى الكبرياء من جهة الصفات وبعضها إلى الكبرياء من جهة الأعمال.

قوله عليه السلام: «وأُشهد سكان السماوات» أي رفع الصوت بالأذان إشهاد للحيوانات والجمادات والنباتات على العقايد الحقة، ولذا تشهد كلها له يوم القيامة قوله عليه السلام: «أن لا حاجة» لعله إشارة إلى أن إرسال الرسول إنما هو لدفع حوائج الخلق، ورفع أمور دنياهم وآخرتهم إليه، فلا حاجة لأحد إلا إليه، وقضى حوائجهم بنصب الحجج الدالين عليه.

قوله عليه السلام: (وأما قوله الله أكبر) في بعض النسخ وقع التكبير هنا وفيما سيأتي معاً مكرراً، فيدل على تربيع التكبير في آخر الأذان أيضاً، وفي بعضها في كل موضع مرة فيدل على المشهور وذكر لا إله إلا الله في آخر الأذن أيضاً مرة لا يدل على وحدتها وإن كان مشعراً بها، وترك تفسير (حي على خير العمل» يمكن أن يكون لترك المؤذن هذا الفصل لأنه عليه السلام كان يفسر ما يقوله المؤذن وتأويل خير العمل بالولاية لا ينافي كونه من فصول أذان الصلاة، لأنها من أعظم شرائط صحتها وقبولها، ويحتمل أن يكون المعنى أن الصلاة التي هي خير العمل هي ما كانت مقرونة بالولاية، وبر فاطمة وولدها صلوات الله عليهم.

بقلم: محمد باقر محمد

الجمـع بين الظهـور والرجعة

إطلاق الرجعة على الظهور وإطلاق الظهور على الرجعة

إنّ إطلاق الرجعة على ظهور الإمام الثاني عشر عليه السلام فقد ورد في مصباح الزائر وفي زيارة القائم عليه السلام في السرداب «... ووفقني فإنّ توفيتني قبل ذلك فاجعلني فيمن يكرّ في رجعته ويملك دولته».(مصباح الزائر:باب زيارة القائم عليه السلام في السرداب)

وفي مزار المشهدي في زيارة الإمام الثاني عشر في السرداب «... اللهم إنّي أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة».(المزار للمشهدي:٢/٦٥٨)

وفي مصباح المتهجّد في دعاء يوم دحو الأرض نقول: «... وعجّل فرج أوليائك وأردد عليهم مظالمهم وأظهر بالحق قائمهم واجعله لدينك منتصراً... اللهم صلّ عليه وعلى جميع آبائه واجعلنا من صحبه وأسرته وابعثنا في كرّته حتى نكون في زمانه من أعوانه».(مصباح المتهجد:٦٧٠)

أمّا إطلاق الظهور على الرجعة فقد ورد في زيارة الأئمة عليهم السلام كثيراً كزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة الحسين عليه السلام وغيرها.

وقد ورد إطلاق الغيبة على الموت والظهور على بعث الرجعة في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام «لائذ ببابك الذي فيه غبت ومنه تظهر حتى تمكّن دينه الذي ارتضى وتبدّل بعد الخوف أمناً».(المزار الكبير:١٣، الزيارة١٥)

الصيحة للظهور ينادى فيها بالرجعة

إنّ بدء الرجعة للمؤمنين وكذا الكافرين قبيل ظهور الحجة عليه السلام وإنّ أوّل ما ينادى في الصيحة من السماء، كما ورد في الروايات ينادى بالرجعة «هذا علي قد كرّ...» قبل أن ينادى بظهور المهدي عليه السلام مما يدل على أن الرجعة هي العنوان الأكبر للظهور وأنّ الظهور فاتحة للرجعة وفاتحة دولة أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام.

الأولى: روى قطب الدين الراوندي وقال الرضا عليه السلام: «لابد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة

ووليجة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض وكم من مؤمن متأسف حران حيران حزين عند فقدان الماء المعين كأني بهم شر ما يكونون وقد نودوا نداءً يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، يكون رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين».

قال له الحسن بن محبوب: وأي نداء هو؟ قال: «ينادون في [شهر] رجب ثلاثة أصوات من السماء:

صوتاً: ألا لعنة الله على الظالمين.

والصوت الثاني: أزفة الآزفة يا معشر المؤمنين.

والصوت الثالث - يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس -: هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين.

وفي رواية الحميري: والصوت الثالث: بدن يرى في قرن الشمس يقول: «إن الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا». (الخرائج والجرائح للراوندي:٣/١١٦٨)

وفي غيبة الطوسي: «هذا أمير المؤمنين قد كرّ هلاك الظالمين». (غيبة الطوسي:٤٤٠، ح٤٣١)

ونظير رواية الحميري رواية النعماني. (الغيبة للنعماني:١٨٠، ٢٨)

وكذلك رواية الطبري في دلائل الإمامة. (دلائل الإمامة:٤٥، ح٤٤١)

وفي رواية الخزاز القمي: «والثالث ترون بدرياً بارزاً مع قرن الشمس ينادي (ألا أن الله قد بعث فلان بن فلان - حتى ينسبه إلى علي - فيه هلاك الظالمين)»؛ فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم. (كفاية الأثير:١٥٩)

الثانية: روى الكليني بسنده عن الحلبي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اختلاف بني العباس من المحتوم والنداء من المحتوم وخروج القائم من المحتوم»، قلت: وكيف النداء؟ قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن علياً وشيعته هم الفائزون...». (الكافي:٨/٣١٠، ح٤٨٤)

وروى قريباً منه في الخرائج. (الخراج والجرائح:٣/١١٦١)

الثالثة: روى عبد الله بن سنان، قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعت رجلاً من همدان يقول له: إن هؤلاء العامة يعيرونا، ويقولون لنا: إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر، وكان متكئاً فغضب وجلس، ثم قال: «لا ترووه عني، وأرووه عن أبي، ولا حرج عليكم في ذلك، أشهد أني قد سمعت أبي عليه السلام يقول: والله إن ذلك في كتاب الله عز وجل لبين حين يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾. (الشعراء:٤)

فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء: ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته.... قال: فيثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرأون منا ويتناولون، فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (القمر:٢)». (الغيبة للنعماني:٣٦٧/باب١٤، ح١٩)

ولا يخفى أن النداء باسم علي عليه السلام هو نداء للرجعة وللبشارة بالرجعة وبدء وقوعها، ومع ذلك جعل هذا النداء في روايات مستفيضة هو شعاراً ونداءً وبشارةً لظهور المهدي القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف بل في جملة من الروايات المستفيضة جعل تأويل الآية التي تظهر في السماء وتظل أعناقهم لها خاضعين هي النداء باسم القائم وأبيه مما يدلل على أن النداء للرجعة وللظهور متحد ومتطابق ومتداخل ومتشابك.

الرابعة: رواية بن راشد البجلي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أما إن النداء من السماء باسم القائم في كتاب الله لبين». فقلت: فأين هو أصلحك الله؟ فقال: في ﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء:١-٤)»، قال: «إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنما على رؤوسهم الطير». (الغيبة للنعماني:٢٧٠/ باب١٤، ح٢٣)

الخامسة: رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «.... والنداء من السماء»، فقلت: وأي شيء يكون النداء؟ فقال: «مناد ينادي باسم القائم واسم أبيه عليهما

السلام». (الغيبة للنعماني:باب١٤/٢٦٥،ح١٥)

السادسة: روى ناجية القطان أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن المنادي ينادي: إن المهدي من آل محمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه، فينادي الشيطان إن فلانا وشيعته على الحق - يعني رجلاً من بني أمية-». (غيبة النعماني:باب١٤/٢٧٢،ح٢٦)

السابعة: موثق زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي مناد من السماء: إن فلاناً هو الأمير، وينادي مناد: إنّ علياً وشيعته هم الفائزون». قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: إنّ الشيطان ينادي: إنّ فلاناً وشيعته هم الفائزون - لرجل من بني أمية». (غيبة النعماني:باب١٤/٢٧٢،ح٢٨)

ومفاده أنّ في النداء الواحد يجمع بين اسم المهدي عليه السلام واسم علي عليه السلام، فهو صريح في الجمع بين الظهور وعنوان الرجعة.

الصيحة تلازم وتزامن الرجعة

أولاً: ما رواه القمي في الصيحة في حديث طويل صحيح لعبد الله بن سنان، قال علي بن إبراهيم: حدثني أبي عن عبد الله بن المغيرة الخزاز (الجزارط) عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوه الوسيلة»، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة.. قال: «فيخلق الله خلقا يومئذ يملأ بهم الجنة»، قال أبو عبد الله عليه السلام: «طوبى لهم إنّهم لم يروا غموم الدنيا وهمومها....»، ثم قال: «﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق:٤١)»، قال: «ينادي المنادي باسم القائم عليه السلام واسم أبيه عليه السلام قوله: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ (ق:٤٢)»، قال: «صيحة القائم من السماء، ذلك يوم الخروج»، قال: «هي الرجعة». (تفسير القمي:ذيل الآية٤٢ من سورة ق:١/٣٢٧)

ثانياً: روى عن أحمد بن إدريس قال حدثنا محمد بن أحمد عن عمر بن عبد العزيز عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ قال: «هي الرجعة». قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ (ق:٤٥)، قال: «في الرجعة». (تفسير القمي:١/٣٢٧)

ثالثاً: روى في مختصر البصائر عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عمر بن عبد العزيز عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عز وجل ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر:٥١)، قال: «ذلك والله في الرجعة أما علمت أنّ أنبياء الله كثيراً ما ينصروا في الدنيا وقتلوا وأئمة قد قتلوا ولم ينصروا فذلك في الرجعة»، قلت: واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق يوم الخروج، قال: «هي الرجعة». (مختصر بصائر الدرجات:١٢٠، ح٦٠/٦)

رابعاً: في فرائد السمطين عن الحسن بن خالد قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لا دين لمن لا ورع له، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم: أي أعملكم بالتقوى». ثم قال: «إن الرابع من ولدي ابن سيدة يطهر الله به الأرض من كل جور وظلم، وهو الذي يشك الناس في ولادته، وهو صاحب الغيبة، فإذا خرج أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع ميزان العدل بين الناس، فلا يظلم أحد أحداً، وهو الذي تطوى له الأرض، ولا يكون له ظل، وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض: ألا إنّ حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه، فإنّ الحق فيه ومعه، وهو قول الله عز وجل: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾، وقول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾، أي خروج ولدي القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف». (ينابيع المودة للقندوزي:٣/٢٩٨، باب٨٧ نقلاً عن فرائد السمطين)

بقلم: الشيخ محمد السند

الإفتراء والكذب والبهتان

الكذب

الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك.

الإفتراء

أخص من الكذب، لأنّه في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه.

ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا ولم أفعل كذا) مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر.

وكذا من مدح أحداً بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر.

لأنّ في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالباً.

وقال سبحانه حكايةً عن الكفار: ﴿ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾.(الأنعام:٢١)

لعلمهم أنّه أتاهم بما لا يرتضيه الله سبحانه وتعالى مع نسبته إليه.

وأيضاً قد يحسن الكذب على بعض الوجوه، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعِدّةِ الزوجة، كما وردت به الرواية، بخلاف الافتراء.

البهتان

والبهتان: هو الباطل الّذي يتحيّر من بطلانه، وهو من البهت وهو التّحيّر.

فهو إتّهام المؤمن، والتجني عليه، بما لم يفعله، وهو أشد إثماً وأعظم جرماً من الغيبة، كما قال الله عز وجل: ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً، ثم يرم به بريئاً، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾.

فهو جمع بين الغيبة والكذب، فهو الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ﴾.(النساء:١٥٦)

فإنّ اليهود كانوا يواجهون مريم عليها السلام بالقذف، وينسبونها إلى ما لا ينبغي من القول بالمشافهة.

ومع هذا نرى أن الناس يستهينون بهذا الذنب مع أنه ذنب عظيم، بل يجب أن لا نستخف فيه لما له من آثار دنيوية وأخروية سيئة على شخصية الإنسان وعلى أي تقدير، فهو أشد إثماً من الغيبة والكذب.

بقلم: محمد مهدي حسن

غـــــــزوة خـيــبر

على مشارف خيبر

لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قريباً من خيبر وأشرف عليها قال لأصحابه: قفوا، فوقفوا، فرفع النبي صلى الله عليه وآله يديه نحو السماء وقال: «اللّهمّ رب السماوات السبع وما أظللن، وربّ الأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أضللن، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله».

فلما دخلوا منطقة خيبر، صلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيها صلاة الصبح وركب وركب المسلمون، وأصبح اليهود وفتحوا حصونهم وغدوا إلى أعمالهم معهم المساحي والمكاتل كعادتهم في كل يوم، فإذا بهم يفاجأون بمحاصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه منطقتهم واحتلال كل المواضع الحساسة وسد الطرق عليهم، فرجعوا نحو حصونهم هاربين وهم يقولون: محمد واللّه وجيشه، ودخلوا حصونهم وأغلقوها بإحكام.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الله أكبر، خربت خيبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

اليهود وقرار المواجهة

ولما دخل اليهود حصونهم، وأحكموا إغلاقها، عقدوا مؤتمراً طارئاً يبحثون فيه مستجدات الوضع الراهن، ويدرسون كيفية مواجهتهم للخطر المحدق بهم حسب نظرهم فاتفقوا أخيراً على المواجهة المسلحة، وذلك بأن يجعلوا النساء والذراري في أحد حصونهم السبعة، ويجعلوا ما يحتاجون إليه من الطعام في حصن آخر، ويستقر المقاتلون على الأبراج، ويدافعوا عن كل حصن من حصونهم برمي النبال والأحجار كل من يقترب إليها، ويخرج صناديدهم خارج الحصن لمقاتلة المسلمين.

وهكذا فعلوا، فاستطاعوا بسببه أن يبقوا في حصونهم ويقاوموا حصار المسلمين لهم ما يقارب من شهر واحد، وكلما حاول المسلمون الاقتراب من حصونهم رموهم من على أبراجهم بالنبال والحجارة حتى قتل بعض المسلمين وجرح آخرون.

قبول النصيحة

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأصحابه على مقربة من قلاع خيبر وحصونهم وعسكر هناك، عند ذلك جاء إليه أحد أصحابه وكان عارفاً بمواضع خيبر وقلاعها، ونقاط قوّتها وضعفها وقال: يا رسول

الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي في الحرب؟

قال صلى الله عليه وآله: بل هو الرأي.

فقال: يا رسول الله، إنّ هذا المنزل قريب جدّاً من حصن نطأة، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ولا نأمن من بياتهم، وأيضاً هذا بين النخلات ومكان غائر وأرض وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذه معسكراً؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرأي ما أشرت إليه، وقد جرى مثل هذا في غزوة بدر، ثم ضرب صلى الله عليه وآله معسكره في منطقة آمنة.

الرجل الذي يحبّه الله ورسوله صلى الله عليه وآله

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله فلحقه رمد فمنعه من الحرب، وأخذ المسلمون يتناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم وجنباتها، فلما كان ذات يوم، فتح اليهود الباب وكانوا قد خندقوا على أنفسهم خندقاً وخرج مرحب برجله يتعرض للحرب.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الصحابة وقال له: خذ الراية، فأخذها فما لبث أن عاد يجبّن أصحابه ويجبّنونه.

وفي الغد أخذ الراية صحابي آخر وسار بها غير بعيد ثم رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «ما بال أقوام يرجعون منهزمين يجبّنون أصحابهم؟ أما لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

وكان علي عليه السلام أرمد العين، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم يرجو أن يعطاها.

فقال صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب؟

فقالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه.

قال صلى الله عليه وآله: فأرسلوا إليه، فأتى، فبصق رسول الله في عينيه ودعا له وكان في دعائه له: «اللهم قه الحرّ والبرد».

فبرأ عليه السلام حتى كأن لم يكن به وجع، ولم يشتك حراً ولا برداً، ثم أعطاه الراية، وكانت راية بيضاء وقال له: (خذ الراية وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنّهم يجدون في كتابهم أنّ الذي يدمّر عليهم اسمه إيليا، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى).

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

قال صلى الله عليه وآله: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس، وفي رواية: خير لك من حمر النعم، فإن أبوا ذلك فالجزية، وإن أبوا ذلك أيضاً فالحرب، فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فخرج علي عليه السلام بالراية يهرول هرولة حتى ركزها قريباً من الحصن، فاستقبله حماة اليهود، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمّة فأبوا إلاّ الحرب، وخرج إليه ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب
شاكي السلاح بطل مجرّب
إن غُلب الدهر فإني أغلب
والقرن عندي بالدما مخضّب

وكان مرحب لعظم هامته لا تصلح لرأسه بيضة ولا مغفر ولذلك جعل على رأسه نقير من جبل، وكان شاكاً في السلاح.

فقال علي عليه السلام في جوابه:

أنا الذي سمّتني أمّي حيدرة
كليث غابات شديد قسورة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة
أطعن بالرمح وجوه الكفرة

مرحب ينهزم

فلمّا سمع مرحب اسم حيدرة سقط في يده، وولّى على وجهه هارباً ولم يقف، فتمثّل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود وقال له: إلى أين يا مرحب؟

فقال: تسمّى هذا القرن بحيدرة فخفته على نفسي، لأنّ ضئري كانت تحذّرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة وتقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلاّ هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، ارجع فلعلّك تقتله، فإن قتلته سدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك.

فردّه، فما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي عليه السلام ضربة سقط منها لوجهه، وانهزم اليهود يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب، ودخلوا حصونهم وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه.

فأقبل علي عليه السلام إلى الباب، وكان الباب منحوتاً من الحجر يعجز عن فتحه أناس كثير فاجتذبه علي عليه السلام اجتذاباً وتترّس به، ثم رمى به فجعله على الخندق جسراً للمسلمين يعبرون عليه حتى ظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، وقد قال ابن أبي الحديد في عينيته:

يا قالع الباب الذي عن هزّه
عجزت أكفّ أربعون وأربع

البشارة بالفتح

وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: بأنّ علياً دخل الحصن، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله نحو الحصن، فخرج علي عليه السلام يتلقّاه، فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «بلغني نبأك المشكور، وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك يا علي».

فبكى علي عليه السلام شوقاً.

فقال له: «ما يبكيك يا علي؟».

فقال: «فرحاً بأنّ الله ورسوله عنّي راضيان».

فاستأذن حسان بن ثابت الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول فيه شعراً، فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي
دواءً فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة
فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً
مكياً محباً للرسول مواليا
يحبّ إلهي والإله يحبّه
به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها
علياً وسماه الوزير المواخيا

بقلم: محمد محمد الحسيني

لماذا يتحول التفاح إلى اللون البني عند تقطيعه؟ وما الهدف من هذا التحول؟

عندما يقطع التفاح فإنّ الأنسجة المصابة (المقطوعة) تتعرض للأوكسجين.

الأنسجة الداخلية للتفاح تحتوي على إنزيم يُعرف باسم (أكسيداز البوليفينول) هذه الإنزيمات تُحفز (الفينول) الموجود أيضًا في التفاح على التأكسد.

وهذا التحفيز لا يحدث إلا إذا استطاع (أكسيداز البوليفينول) الوصول إلى الأوكسجين الموجود في الهواء و(الفينول) الموجود في التفاح أي عند قطع التفاحة.

عندما تبدأ أكسدة الفينول يُطلق العديد من التفاعلات الكيميائية لتنتهي بإنتاج نوع من أنواع البروتين المعروفة باسم (ميلانين) وهي المادة التي تتحكم في لون بشرتنا وشعرنا، صبغة الميلانين البروتينية.

ما الهدف من حدوث هذا التفاعل؟

على عكس البشر الميلانين يمكن أن يوجد في كل مكان في النباتات وليس مثلنا في الطبقة الخارجية فقط.

وتكون الميلانين عند قطع التفاحة هدفه حمايتها بقدر المستطاع من الإصابة بعدوى أو التعفن، وهي على الشجرة بالطبع.

لكنها وهي على طاولتك لن يحميها من أي شيء فأنت ستأكلها أو سترميها بسبب الميلانين، فطعمه ليس جيدًا على الإطلاق!

السعادة والشقاء بالولادة أم بالإرادة؟

ما علاقة الخلاص الأخروي بالاختيار وحرية الإرادة لدى الإنسان؟ هل يمكن التفكيك بين الأمرين ومحاسبة الإنسان على ما ليس في اختياره ولا يقع تحت إرادته؟

الخلاص وحرية الاختيار

يمكن القول دون تردد: إنّ إرادة الإنسان واختياره هما المرتكز الأساس للخلاص يوم القيامة، ولا معنى للثواب والعقاب الأخرويين - كما الدنيويين - إذا سلبنا هذا الإنسان حريته وإرادته أو فَقَد اختياره.

فالإرادة وحرية الاختيار هما اللذان يعطيان الحساب مغزاه ومعناه، وإنه لأمرٌ قبيح أن يعاقب الله سبحانه شخصاً أو يثيب آخر على ما ليس في اختيارهما، فهذا يتنافى وعدله وحكمته ولطفه، وقد ثبت بالدليل القاطع تنزهه عن ارتكاب القبيح وظلم العباد، وأنه لا يجبر عبداً على طاعة أو يقسره على معصية وإلاّ لبطل الثواب والعقاب، كما قال الإمام علي عليه السلام، وذلك عندما سأله أحدهم: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ ولمّا أجابه عليه السلام بالإيجاب علّق الرجل قائلاً: إذن عند الله أحتسب عنائي، فقال عليه السلام: «ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، وإنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتب عبثاً ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار». (نهج البلاغة)

إذن، فالإنسان يساهم في صنع مستقبله بإرادته، ويهيئ جنته أو نيرانه بيده، ويُعدّ رفقته وصحبه في النعيم أو الجحيم باختياره.

فنستنتج مما تقدم: ليس فقط قبح مؤاخذة الإنسان في الحالات التي يفقد فيها إرادته أو اختياره كالنائم والساهي والمكره إلى حدّ الجبر والقسر، وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل ما غلب الله عليه فالله أولى بالعذر». (الكافي ٣/٤١٢).

بل ونخلص أيضاً إلى رفض كل الأفكار والمعتقدات التي تفترض أن الشر والخير طبيعة في الإنسان، وأن السعادة والشقاء ذاتيان له، ولا دور لإرادته في صنع الأحداث وتغيير المقدور، وأن مصيره الأخروي مكتوب عليه قبل ولادته وليس بمستطاعه تغييره أو تبديله، إن هذه الأفكار المنتشرة لدى الكثيرين من أتباع الديانات وغيرهم هي أفكار مرفوضة، لمنافاتها لكل من الوجدان والبرهان والقرآن، فالوجدان

خير شاهد على حرية الإنسان في تحديد المسارات المختلفة، دونما إلجاء وقسر له على ذلك من داخل النفس أو خارجها، والبرهان - هو الآخر - حاكم بما شهد به الوجدان من حرية الإنسان، وإلا لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد ولفقدت الرسالات معناها، وأمّا القرآن فهو أيضاً صريح في العديد من آياته بأن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان وجعله على مسافة واحدة من الخير والشر، ولم يجبره على هذا أو ذاك، وإنما عرّفه الخير وأمره باتباعه، وعرّفه الشر وأمره باجتنابه، فلو فعل الخير أو ارتكب الشر فبإرادته واختياره، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان:٣)، وقال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾. (البلد:١٠)

البحث في النصوص دينية

في ضوء المبدأ العقلي المتقدم الذي يربط الخلاص الأخروي باختيار الإنسان وحرية إرادته لابدّ من محاكمة التراث الديني الذي ينافي بظاهره هذا المبدأ، حيث قد تواجهنا نصوص دينية في التوراة أو الإنجيل أو بعض المرويات عن النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السلام مما لا ينسجم والمبدأ المذكور، فعلى سبيل المثال: نقرأ في مزامير داوود من العهد القديم قول داوود: (ها أنا ذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطية حبلت بي أمي). (المزمور:٥١)

ونقرأ في المزامير عينها: (زاغ الأشرار من الرّحم، ضلوا من البطن). (المزمور:٨٥)

وهذا المضمون ورد في الحديث عن رسول الله صل الله عليه واله حيث روي عنه قوله: «السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه». (كنز العمال:١/١٠٧)

في التعليق على هذه النصوص نقول: إنْ أمكن حملها على بعض المعاني المقبولة - من قبيل ما فُسِّر به الحديث المروي عن رسول الله حول سعادة الإنسان وشقائه في بطن أمه بأن المراد به: علم الله بسعادة السعيد وهو في بطن أمه وشقاء الشقي كذلك، كما نصت عليه بعض الروايات - فبها، وإلاّ تعين التوقف بشأنها وردّ علمها إلى أهلها إن لم يكن رفضها، لأن معنى أن يرث الإنسان الخطيئة بالولادة وأن تكون سعادته وشقاوته ذاتيتين أنه يعاقب أو يثاب يوم القيامة على ما ليس في اختياره ولا دخل له في صنعه، وهذا يتنافى - كما سلف - مع مبدأ العدل الإلهي.

وخلاصة القول: إن ما يسوقنا إليه الدليل هو أن الخطايا والآثام لا يرثها الإنسان بالولادة وإنما يكتسبها بالإرادة وما يتبعها - الإرادة - من أعمال اختيارية، وقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ قال: «بأعمالهم شقوا». (التوحيد للصدوق:٣٥٦)

وقفة مع أحاديث الطينة

وفي هذا السياق تندرج جملة من الروايات المعروفة بأخبار الطينة، وهي روايات كثيرة ومستفيضة وبعضها صحيح السند، وقد رواه الكليني في الكافي والصدوق في العلل والأمالي والبرقي في المحاسن وغيرهم، ولا يسع المجال لسردها، لكن مفادها: أن الطينة التي خلق منها الأنبياء والأئمة عليهم السلام وشيعتهم تختلف عن الطينة التي خلق منها الكافرون والفاسقون وناصبو العداء لأهل البيت عليهم السلام، فطينة الصنف الأول مأخوذة من عليين أو من أرض طيبة أو من الماء العذب، بينما طينة الصنف الثاني هي من سجّين أو من أرض خبيثة وسبخة

وماء أجاج أو من طينة خبال من حمأ مسنون. (بحار الأنوار:٥/٢٢٥)

وفي نظرة تقييمية أولية يبدو أن مضمون هذه الأحاديث يتنافى وقواعد العدلية ولذا وضعها العلماء على طاولة النقد العلمي، واختلفت الأنظار بشأنها وتعددت الآراء في توجيهها وألّف بعضهم رسائل خاصة بهذا الصدد، ويلاحظ أن العلماء انقسموا إزاءها فريقين:

الفريق الأول: بادر إلى طرحها وردّها، لعدم انسجامها مع قواعد العدلية وذلك باعتبار أن "ظاهرها أن كل أحد من الناس - باقتضاء طينته التي خلق منها - موجّه إلى غاية معينة من السعادة أو الشقاء لا محيد له منها، وهذا يعني الجبر، ونفي الاختيار وهو خلاف العدل واللطف اللذين نطقت بهما البراهين وقام عليهما المذهب هذا من جهة،

ومن جهة أخرى فإن ظاهرها أو ظاهر بعضها على الأقل أن كل أحد - منذ ابتداء خلقته - مُتّخِذٌ سبيله الذي لا مهرب منه، وأن الناس بتبع ذلك - منذ ابتداء نشأتهم - على قسمين: مهتد وضال، وهو خلاف أدلة ولادة الناس على التوحيد والفطرة وأن الانحراف يأتي بعد ذلك من التربية والتلقين. (بين السائل والفقيه:٣٤)

والفريق الثاني: رأى أنه لا مبرر لرفض تلك الأخبار بسبب تضافرها، بل ربما أدعى بعضهم تواترها المعنوي أو الإجمالي. (صراط الحق:٢/٢٥٠)

ولذا اتجه هذا الفريق إلى التأويل والتوجيه، وذكرت في هذا الصدد عدة وجوه بعضها أقرب إلى الرد منها إلى التأويل، وربما يكون أقرب الوجوه إلى الصحة وأسلمها من النقد ما ذكره بعض العلماء - وإن لم يتبناه - من (أن مضامين أحاديث الطينة معانٍ كنائية وهي تعبير عن اختلاف الناس في استعدادهم لقبول الحق أو رفضه واتباع الهوى أو اجتنابه، وهذا أمر لا ريب فيه، فبعض الناس قريب من الحق في تصوّره وفي سلوكه، عصي القياد على المؤثرات أن تقوده أو تنحرف به، وبعض الناس على الضد من ذلك، وبعضهم متوسطون بين بين، على درجات مختلفة أو متقاربة، وواضح أن هذا الاختلاف بين الناس في الاستعداد لا يوجب جبراً ولا يسلب اختياراً ولا يسقط التكليف عن الإنسان مهما كان استعداده ومهما كان قربه من الحق أو بعده عنه). (بين السائل والفقيه:٣٦)

وربما يقال: الظاهر من الروايات أن اختلاف الطينة هو الموجب لاختلاف وتفاوت الاستعداد، لا أنه كناية عنه.

والجواب: إن هذه الملاحظة صحيحة، ولكن حيث إن البناء على التأويل - حسب الفرض - فيكون ما ذكر وجهاً معقولاً في تأويل الأحاديث المذكورة وافتراض رمزيتها، وإلاّ لو بني على التمسك بحرفية الروايات والجمود على ظاهرها لواجهتنا الكثير من الصعوبات والإشكالات، ليس لجهة منافاتها لأحكام العقل - كما سلف - فحسب، بل ولمنافاتها أيضاً لنصّ الكتاب الذي يؤكد - وخلافاً لتلك الروايات - أن آدم فقط هو المخلوق من الطين، وأمّا ذريته فهم مخلوقون من ماء مهين، قال الله تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾. (السجدة:٧-٨)

ويشهد لرمزيتها - أيضاً - ما جاء في بعضها من أن طينة النبيين والمؤمنين هي من عليين، وطينة الكافرين هي من سجّين، فإن من المعلوم أن عليين وسجين هما كتابان، والأول هو كتاب الأبرار، والثاني هو كتاب الفجار، كما يصرّح القرآن الكريم، وليست عليين أو سجين من جنس الطين في شيء.

إنّ هذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على المضمون الرمزي لتلك الأحاديث.

بقلم: الشيخ حسين الخشن

أفقي

٢. في أي سـورة يكـون فيهـا اسـم الله الأعظـم مقطع ؟

٦. متى رنّ إبليس لعنه الله رنيناً؟

٩. عكس نعم؟

١٠. في أي سورة لم ترد البسملة؟

١٢. من هي عقيلة قريش؟

١٣. مـا المقصـود من قول الله تعـالى (الصراط المستقيم)؟

عمودي

١. عروس القرآن؟

٣. مـا هـي نعمـة الله في قولـه تعـالى (صراط الذين أنعمـت عليهم)؟

٤. ما هي مفتاح الخبائث؟

٥. مـا هي السـورة التي أولها تحميد وأوسـطها إخلاص وآخرها دعاء؟

٧. في أي سـورة ذكرت البسملة مرتين؟

٨. مـا الـذي وصفه أهـل البيت عليهم السـلام بأنه رأس كل خطيئة؟

١١. قلب القرآن؟

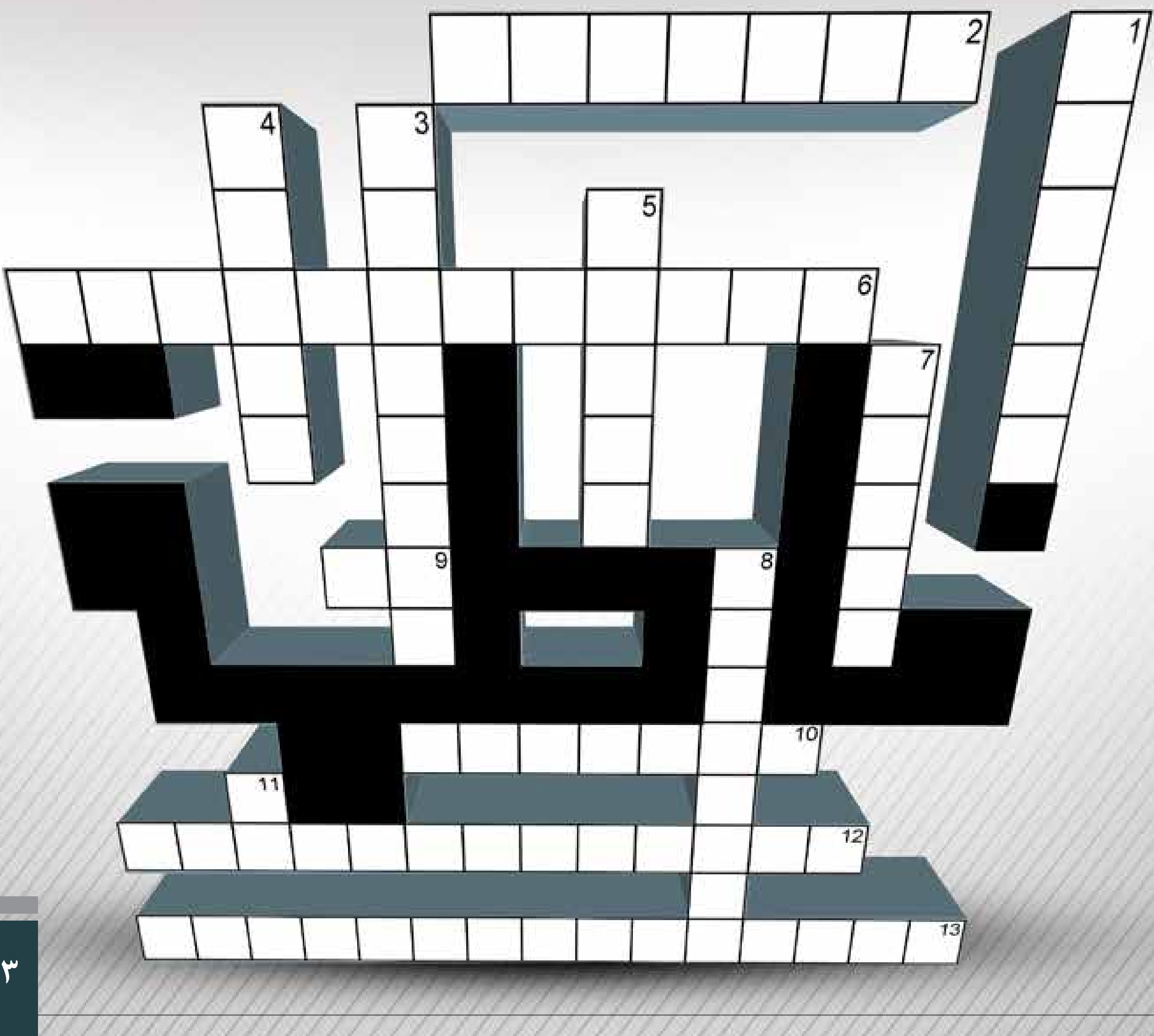

فضل أهل الجدال والحجاج

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ الْمُجَادِلُونَ فِي دِينِ اللهِ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً». (الاحتجاج:١/١٥٢)

وروي بالإسناد عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: «ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الإمام الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً لكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن. أما تسمعون الله يقول؟ ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (العنكبوت:٤٦)

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥).(التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام:٥٢٧)

فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدال بغير التي هي أحسن محرم وحرمه الله تعالى على شيعتنا، وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول؟ ﴿وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾. (البقرة:١١١)

فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن؟ قيل: يابن رسول الله فما الجدال بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن؟ قال: «أما الجدال بغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله، وأما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل، وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له فقال الله حاكياً عنه: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. (يس:٧٨)

فقال الله في الرد عليه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾. (يس:٧٩-٨٠)

والشجر الأخضر الذي ينقدح منه النار هو شجر المرخ والعفار، نوعان من الشجر في البادية يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح النار ويظهر من تفسيره عليه السلام أنه تظهر منه النار

الكامنة فيه لا أنها تحصل من سحقهما بالاستحالة كما هو المشهور بين الحكماء. فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، أفيعجز من ابتدى به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى؟ بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته؛ ثم قال: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ﴾، أي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر.

ثم قال: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾.(يس:٨١)

أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي؟!». (تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٥٢٨)

قال الصادق عليه السلام: «فهذا الجدال بالتي هي أحسن لأن فيها قطع عذر الكافرين وإزالة شبههم، وأما الجدال بغير التي هي أحسن بأن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق فهذا هو المحرم لأنك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر».(تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٥٢٩)

فقال الإمام العسكري عليه السلام: «فقام إليه رجل وقال: يابن رسول الله أفجادل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال الصادق: «مهما ظننت برسول الله صلى الله عليه وآله من شيء فلا تظن به مخالفة الله أوليس الله تعالى قال؟ ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾. وقال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

لمن ضرب الله مثلاً أفتظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله خالف ما أمره الله به فلم يجادل بما أمره الله به ولم يخبر عن الله بما أمره أن يخبر به؟!(تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٥٣٠)

مناظرة الامام الباقر عليه السلام مع هشام ابن عبد الملك في حال الناس يوم القيامة

إِنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِك حَجَّ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مُتَّكِئاً عَلَى يَدَيْ سَالِمٍ مَوْلَاهُ ومُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ.

فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ.

فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: الْمَفْتُونُ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ وقُلْ لَهُ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي يَأْكُلُ النَّاسُ ويَشْرَبُونَ إِلَى أَنْ يُفْصَلَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ: لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ قُرْصَةِ النَّقِيِّ، فِيهَا أَنْهَارٌ مُنْفَجِرَةٌ يَأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْحِسَابِ».

قَالَ: فَرَأَى هِشَامٌ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِهِ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ مَا أَشْغَلَهُمْ عَنِ الْأَكْلِ والشُّرْبِ يَوْمَئِذٍ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «هُمْ فِي النَّارِ أَشْغَلُ ولَمْ يُشْغَلُوا حَتَّى قَالُوا أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ».

فَسَكَتَ هِشَامٌ ولَمْ يُرَاجِعْ.(روضة الواعظين:١/٢٠٤)

أحوال السماء والأرض

رُوِيَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ وَفَدَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِيَمْتَحِنَهُ بِالسُّؤَالِ فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأعراف:٥٠)، مَا هَذَا الرَّتْقُ والْفَتْقُ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقاً لَا تُنْزِلُ الْقَطْرَ وكَانَتِ الْأَرْضُ فَتْقاً لَا تُخْرِجُ النَّبَاتَ».

فَانْقَطَعَ عَمْرٌو ولَمْ يَجِدِ اعْتِرَاضاً ومَضَى.

ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه:٨١): مَا غَضَبُ اللهِ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «غَضَبُ اللهِ عِقَابُهُ يَا عَمْرُو ومَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ يُغَيِّرُهُ شَيْءٌ فَقَدْ كَفَرَ».

(الإرشاد:٢٦٤-٢٦٥)

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبـــــة الحسينـــــية المقدســـــة

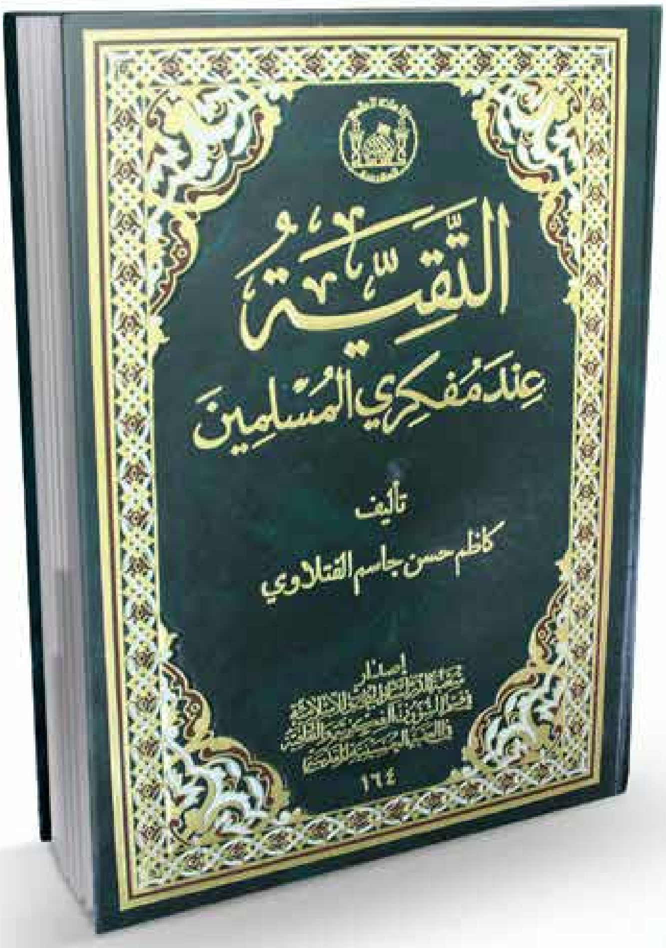

للحصول على النسخة الرقميـــــة للمجلـــة امســـح هذا الكـــود

■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:

info@imamhussain-lib.org